مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء التاسع	١٩ رمضان سنة ١٣٦٠	المجلد الثاني عشر

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٣

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراكات عن سنة

	ملیم
داخل القطر	٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ...	١٠٠
خارج القطر	٣٠٠

ثمن الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٤١)

فهرس

الجزء التاسع — المجلد الثاني عشر

صفحة

القرآن هدى للناس وبينات

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام فى مستهل كل رمضان كلمة ينفح بها الناس تشرح صدورهم لاستقبال شهر الصيام ، فوق ما هو عليه من دواعى الارتياح اليه ؛ وتوقظ فى قلوبهم عوامل الشوق الى عالم الروح ، وحوافز الانبعاث الى العمل الطيب ؛ فتسرى فى النفوس سريان الكهرباء فى الأجسام ، فتتزود زادا أدبيا تستعين به على ما هى بسبيله من المجاهدة للوصول الى الله . وقد تفضل فضيلته على عادته فأذاعها بواسطة الأهرام ، ونحن نضيفها درة عصماء الى ما ندخره من درر كلماته القيمة .

قال حفظه الله :

قال الله سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وصف الله سبحانه القرآن بأنه هدى ، وبأنه آيات بينات من الهدى ، ومن أجل الآيات البينات فى القرآن قوله سبحانه : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

فالصوم وسيلة من وسائل التقوى ، وطريق من طرق تهذيب النفوس ، فهو يروض الجسم ، ويهذب الخلق ، ويطهر الروح ويزكيها . وما من أحد فى هذه الحياة إلا وهو عرضة للفقر بعد الغنى ، والمرض بعد الصحة ، والذل بعد العز ، والنزوح عن الأوطان بعد الاطمئنان اليها ، الى غير ذلك مما هو بسبيل أن يعرض له ، وعروض هذه الأشياء على نفس مدللة ، وجسم مترف ، قد يصدمها صدمة لا تقوى على احتمالها ، ويسوق اليها الجزع ، ويورثها اليأس .

كذلك اقتضت حكمة الله أن يجعل من العبادات ما هو رياضة وإعداد لاحتمال هذه المشقات والنوائب ، فجعل منها الصوم ، وإذا كان الصوم وقاية من المعاصى ، فلا يليق أن يكون معه فحش فى القول ، وإيذاء للخلق ، بل يجب أن يكون مقترنا بالوقار والحلم ، ومقترنا بالوفاء والبذل والاحسان ، ومواساة الفقراء والضعفاء .

ومن أفضل الهدى قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين » .

طلب الله سبحانه الاستعانة بالصبر ، والاستعانة بالصلاة ، ولولا الصبر لما احتمل الانسان ما ينوبه مما يؤلمه ، ولكان سيئ الخلق ، فاسد التدبير سيئ الرأى ، لكن الصبر زينة للنفس

يتحلى بها الصابرون ويمتازون بها ، فهم فى وقار إذا خفت الاحلام ، وعزة إذا ذلت النفوس ، ورضا بالقدر إذا سخط الجازعون على الأقدار ، وفى طمأنينة الى ما يسوقه اليهم القضاء إذا هلعت النفوس ، وأصابها اليأس ، ولذلك قال الله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » وقال « إن الله مع الصابرين » وقال « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

ونحن فى هذه الحقبة من الدهر فى أشد الحاجة الى الصبر ، فليتخلق المسلمون بخلق الصبر ، وليستعينوا به على هذه النائبات ، ليكون الله معهم ، وليوفيهم أجرهم بغير حساب .

والصلاة وسيلة من وسائل العون والهدى والتقى ، بل هى أكبر وسيلة الى ذلك ، بل هى الوسيلة الى الصبر وغيره على شريطة أن تقام وتقوم ، وأن توجد فيها الحياة وتوجد فيها الروح .

روح الصلاة : الاخلاص لله سبحانه ، واستشعار العبودية ، وإدراك الفرق بين المخلوق والخالق وبين المرزوق والرازق ، والتوجه الى المعبود وحده لا شريك له فى العبادة ، ولا شريك له فى النجوى ، ولا شريك له فى الضراعة ، والوقوف بين يديه مع التجرد عن غيره ومع الفناء فيه ، ومع ملاحظة أنه رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الجزاء ، به العون وحده وبه الاستعانة وحده

الصلاة فيها روحها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصلاة فيها روحها تدفع الجزع وتكون وسيلة الى الصبر ، والصلاة فيها روحها طهر للنفوس وتهذيب ليس وراءه تهذيب ، والصلاة فيها روحها معينة على الصبر ، ومعينة على إحسان الصوم ، ومعينة على البذل فى سبيل الله ومساعدة البؤساء والاحسان الى اليتامى والضعفاء ، ومعينة على الرفق بالعباد فيما يجب فيه الرفق ، وعلى حسن المعاشرة .

والتقوى هى الأثر الذى فرض الصيام له ، وفرضت سائر العبادات ، فلم يفرض الصوم للجوع والعطش وترك الملذات على أن يكون هذا وحده هو المطلوب ، كلا فليس لله حاجة فى أن يدع العبد طعامه وشرابه ، ولكن الله يريد التقوى ، ويريد تهذيب النفوس وطهرها .

تهنئتى الخالصة بشهر رمضان أزجيها الى المسلمين جميعهم فى مشرق الأرض ومغربها ، ونصيحتى إليهم تلاوة القرآن فى شهر رمضان ، مع التدبر والعمل به بعد التدبر ؛ وليعلموا أن الحياة الدنيا متاع الغرور ، وأن العاقبة للمتقين ، وأن مرد الأمور جميعها إليه ، وأنه مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شى قدير .

محمد مصطفى المراغى



قال الله تعالى : « ونَفْسٍ وما سوّاها . فألهمها فجُورها وتقواها . قد أفلح من زكّاها . وقد خاب من دسّاها » :

ذكرنا لك فى مقالنا السابق بعض ما اشتملت عليه خلقة الانسان من الحكم العالية والأسرار السامية ؛ والأمر أكبر من أن نأتى على تفصيله . وعلى كل حال فمن نظر الى وظائف الأعضاء كالكبد والمعدة والأمعاء والرئتين ، ثم تهيئة السبيلين ، وما أودعه الله العينين والأذنين واليدين والرجلين الخ ، أخذ منه الدهش كل مأخذ ، وامتلأ قلبه بعظمة الله تعالى وعظيم حكمته ومختلف نعمته ، فنطق لسانه قائلا : سبحانك لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وقد رأيت أن أذكر لك فى هذا المقال بعض ما فى الفم واللسان والريق والأسنان من اللطائف التى من علينا بها اللطيف الخبير ، فنقول :

جعل سبحانه الفم أكثر الأعضاء رطوبة والريق يتحلل اليه دائما لا يفارقه ، وجعله حلواً لا مالحاً كماء العين ، ولا مراً كالذى فى الأذن ، ولا عفنا كالذى فى الأنف ، بل هو أعذب مياه البدن وأحلاها ؛ حكمة بالغة ، فان الطعام والشراب يخالطه ، بل هو الذى يحيل الطعام ويمتزج به امتزاج العجين بالماء . فلولا أنه حلو لما التذ إنسان بل ولا حيوان بطعام ولا شراب ، ولا ساغه إلا على كره وتنغيص . ولما كان كثير من الطعام لا يمكن إحالته إلا بعد طبخه ، جعل الرب تعالى آلة للتقطيع والتفصيل ، وآلة للطحن ، فجعل آلة القطع وهى الثنايا وما يليها حادة الرءوس ليسهل بها القطع ، وجعل النواجذ وما يليها من الأضراس مسطحة الرءوس عريضة ليتأتى بها الطحن ، وجعلها فى أحسن نظام كاللؤلؤ المنظم ، وجعلها من الجانب الأعلى والأسفل ليتأتى بها القطع والطحن ، وجعلها من الجانب الأيمن والأيسر ، إذ ربما كلّت إحدى الآلتين أو تعطلت أو عرض لها عارض فينتقل الى الآلة الأخرى . وأيضا لو كان العمل على جانب واحد دائما أوشك أن يتعطل ويضعف .

وتأمل كيف أنبتها سبحانه من نفس اللحم وتخرج من خلاله نابتة كما ينبت الزرع فى الأرض ، ولم يكسها سبحانه لحما كسائر العظام سواها ، إذ لو كساها اللحم لتعطلت المنفعة المقصودة .

ولما كانت العظام محتاجة الى لحم يكسوها ويحفظها ، ويتلاقى عنها الحر والبرد ، ويحفظ عليها رطوبتها ، لم تكمل مصلحة الحيوان إلا بهذه الكسوة . ولما كانت عظام الانسان محتاجة الى ذلك من وجه مستغنية عنه من وجه ، جعلت كسوتها منفصلة عنها ، وجعلت هى المكتسية العارية لتمام المنفعة بذلك .

ولما كانت آلة القطع والكسر والطحن لم تنشأ مع الطفل من أول نشأته كسائر عظامه لعدم حاجته إليها ، خلا عنها وقت استغنائه عنها بالرضاع ، وأعطيها وقت حاجته إليها . وفيه حكمة أخرى وهى أنه لو نشأ معه من حين يولد لأضرت بحلمة الثدى ، إذ لا عقل له يمنعه عن عضها ، فكانت الأم تمتنع عن رضاعه .

ومن عجيب أمرها الاتفاق والموالاة التى بينها وبين المعدة ، فإنه يسلم إليها الشىء اليابس والصلب فتطحنه ثم تسلمه الى اللسان فيعجنه ، ثم يسلمه الى الحلق فيوصله الى المعدة فتنضجه وتطبخه ، ثم ترسله المعدة الى الأمعاء ليتم هضمه فيها ، ويميز هنالك الخبيث المؤذى من الطيب النافع ، فترسله الى الكبد فيفرز الصفراء ثم يرسله الى القلب . وبعد عملية الأذين والبطين وملاقاة الهواء فى الرئتين يرسل الى الأبهر ، ثم يتفرع منه الى جميع أنحاء البدن فيعطى كل عضو ما يناسبه والمقدار الذى يليق به ، فسبحان الحكيم العليم . ومن المعلوم أن الأسنان إذا عجزت عن قطع شىء وطحنه عجزت المعدة عن إنضاجه وطبخه ، فإذا كلت الأسنان كلت المعدة ، وإذا ضعفت ضعفت ، الى آخر ما يطول القول فيه ، ولا يمكننا أن نصل الى خوافيه .

وإن شئت فانظر فى أهون شىء عليك وأيسره لديك ، وهو الشعر ، وكيف خلا منه جسد المرأة التى تحسن بها الرقة والنعومة ، بخلاف الرجل .

ولنلفت نظرك الى شعر الرأس وما فيه من الحكم والمنافع . فمنها وقايته عن الحر والبرد وما عسى أن يكون عند الاصطدام ، فضلا عما فيه من الحسن . أما السبب الذى صار به شعر الرأس أكثر من شعر البدن ، فهو أن البخار من شأنه أن يصعد من جميع البدن الى الدماغ . وكان هذا الشعر ناميا على الدوام لأن البخار يتصاعد الى الرأس أبدا وهو مادة الشعر ، فكان فيه تخليص للبدن من تلك المواد ، وزيادة لوقايته وغطائه .

وأما شعر الحاجبين ففيه مع الحسن والزينة والجمال وقاية العين مما ينحدر من الرأس ، وجعل هذا المقدار ، فلو نقص عنه لزالت منفعة الجمال والوقاية ، ولو زاد عليه لغطى العين وأضرّ بها وحال بينها وبين ما تدركه . ولما كان الأنفع والأصلح أن يكون شعر الهدب قائما منتصبا ، وأن يكون باقيا على عدد واحد فى مقدار واحد ، جعل منبت هذا الشعر فى جرم

صلب شبيه بالغضروف يمتد فى طول الجفن لئلا يطول وينمو . وهذا كما نشاهد النبات الذى ينبت فى الأرض الرخوة اللينة كيف يطول ويزداد ، والذى ينبت فى الأرض الصخرية لا ينمو إلا نموا يسيرا ، فكذلك الشعر النابت فى الأعضاء اللينة الرطبة فانه سريع النمو كشعر الرأس .

وأما شعر اللحية ففيه منافع ، منها الزينة والوقار والهيبة ؛ ولهذا لا يرى على الصبيان والنساء من الهيبة والوقار ما يرى على ذوى اللحى من الرجال .

ثم انظر كيف هيأ المرأة لما يراد منها ، فخلقها قابلة للتلقيح والحبل والولادة وتربية الطفل بلبن ثديها وشدة عطفها ، كما هيأ الرجل لما يراد منه . وقد قلنا إن بعض فلاسفة الأوربيين قال : « يكفينى فى الدلالة على الله وجود المرأة بجانب الرجل لبقاء النوع واستمرار وجوده » .

هذا بعض ما قاله العلماء . ولنختم كلمتنا هذه بقول الله تعالى : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك » ؟

يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

الجود مع الاقلال

قال أبو هريرة : ما وددت أن أحدا ولدتنى أمه إلا أم جعفر بن أبى طالب : تبعته ذات يوم وأنا جائع ، فلما بلغ الباب التفت فرآنى فقال لى : ادخل ، فدخلت ، ففكر حينا فما وجد فى بيته شيئا إلا نِحياً كان فيه سمن (النحى : زق السمن) ، فأنزله من رف لهم فشقه بين أيدينا ، فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والزيت ، وهو يقول :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب أن أحدا ولدنى من العرب إلا عروة ابن الورد لقوله :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى ... بجسمى مس الحق والحق جاهد
لأنى امرؤ عافى إنائى شركة ... وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد

ومدحوا ما قاله صريع الغوانى فى الجود :

فلو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

ولكنى لا أمدحه أنا ، فليس من الكرم أن تكلف نفسك ما لا تطيق ، ولكن أن تعطى من القليل الذى عندك ، أو أن تؤثر السائل على نفسك فيما لا يصل الى حد الإضرار بالنفس .

السنة

تعـــدد الزوجات

وما يترتب عليه من متاعب

عن عائشة رضى الله عنها « أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كنّ حزبين ، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة ، فاذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يُهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها حتى إذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة بعث صاحب الهدية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، فكلم حزبُ أم سلمة فقلن لها كلمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس فيقول : من أراد أن يهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فليهدها اليه حيث كان من بيوت نسائه ، فكلمته أم سلمة بما قلن ، فلم يقل لها شيئا ، فسألنها فقالت : ما قال لى شيئا ، فقلن لها : فكلميه ، قالت : فكلمتْه حين دار اليها أيضا فلم يقل لها شيئا ، فسألنها فقالت : ماقال لى شيئا ، فقلن لها : كلميه حتى يكلمك ، فدار اليها فكلمته ، فقال لها : لاتؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة ، قالت : فقالت : أتوب الى الله من أذاك يارسول الله . ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول : إن نساءك يَنشُدنك اللهَ العدلَ فى بنت أبى بكر ، فكلمته ، فقال : يابنية ألا تحبين ما أحب ؟ قالت : بلى ، فرجعت اليهن فأخبرتهن ، فقلن : ارجعى اليه ، فأبت أن ترجع ، فأرسلن زينب بنت جحش ، فأتته فأغلظت ، وقالت : إن نساءك يَنشُدنك اللهَ العدلَ فى بنت ابن أبى قحافة ، فرفعت صوتَها حتى تناولت عائشةَ وهى قاعدة فسبّتها ، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَينظر الى عائشة هل تكلّم ، قال : فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها ، قالت : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى عائشة وقال : إنها بنت أبى بكر » . رواه البخارى فى كتاب الهبة .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) بيان معناه إجمالا ، (٢) بيان بعض ما يترتب على تعدد الزوجية من مضار نهى عنها الدين ، (٣) بيان حكم الهدية وأن ليس على المهدى أن يتقيد بأى قيد .

(١) معنى الحديث ظاهر لاخفاء فى شىء من ألفاظه ؛ وكل ما فيه أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم كن حزبين : حزب مع عائشة ، وهن حفصة بنت عمر رضى الله عنهما ، وصفية بنت حيي ، وسودة بنت زمعة ؛ والحزب الآخر مع أم سلمة ، وهن زينب بنت جحش الأسدية ، وأم حبيبة الأموية ، وجويرية بنت الحرث الخزاعية ، وميمونة بنت الحرث الهلالية .

ولم تكن واحدة من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم تجهل ما كان عليه من عدل مطلق لا تشوبه أية شائبة ، ولا يمكن أن يمس من أى جانب من جوانبه ، وإنما هى الطبيعة البشرية التى فطر الله عليها النساء من غيرة على الزوج وحب الانفراد به فى كل شأن من شئونه .

وكان أكبر العاملات فى حزب أم سلمة زينب بنت جحش رضى الله عنها ، لأنها هى التى كانت تظن أنها تشابه عائشة فى جمالها ، وكانت مع هذا قريبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابنة عمته) ، فأثار هذا الحزب مشكلة هدايا الناس التى يبعثون بها الى رسول الله من وقت لآخر ، ويتعمدون أن يرسلوها اليه وهو فى منزل عائشة ، فأثارت هذه المسالة غضبهن ، وظنن أن فى تصرف الناس ذلك التصرف إجحافا بهن ، فبعثن أم سلمة الى الرسول ينشدن العدل الذى هو ركن الشريعة الاسلامية ، ويطلبن التسوية فى هذه الميزة ؛ ولا يرفع هذا الحيف إلا أن يأمر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بأن لا يقصروا الهدايا على بيت عائشة . ولا أدرى كيف يتصورن تنفيذ هذا .

هذه المسألة حملتها أم سلمة وبلغتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكت ولم يرد عليها ، فأعادتها له فى نوبتها الأخرى بناء على طلبهن ، فلم يرد عليها أيضا ، فكلفتها صويحباتها أن تكرر الطلب مرة ثالثة ففعلت ، فقال لها : « لا تؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة » . فقالت أم سلمة : أتوب الى الله من أذاك يا رسول الله . ومعنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة : فى فراش امرأة إلا عائشة . وفى بعض الروايات فى لحاف امرأة منكن غيرها . وعلى كل حال فان الأمر ظاهر ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم لا يريد إلا تفضيل الأمور المعنوية ما دامت الماديات لا يتعلق بها حق من حقوق الغير . وإذا كانت أم سلمة قد اقتنعت فان زينب بنت جحش ومن بقى من نسائه لم يقتنعن ، فوسطن فى الأمر السيدة فاطمة ، ولكن وساطتها لم تفلح أيضا ، فذهبت زينب بنفسها ؛ وهنا تجلت مظاهر الغيرة الطبيعية ، وخرجت زينب عن طبيعتها من الكمال المعروف عن زوجات الرسول ، واعتدت على عائشة بما قد يكون سبا فى عرف العرب ؛ ولكن عائشة صبرت عليها وانتظرت ما عساه أن يبدو على وجه الرسول فى مثل هذه الحالة ، فلم تر فيه مانعا من الرد على زينب ، وكانت كأبيها حافظة لأنساب العرب وتاريخهم وما لهم من مثالب ومحاسن ، فكرّت على زينب حتى أثخنتها وأفحمتها ، وانتهت المسألة عند هذا الحد .

(٢) ولعل هـذا يرشد المسلمين الى ما قد يترتب على تعـدد الأزواج من مضار ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له المنزلة الأولى فى قلوب جميع المسلمين ، فكانوا يفدونه بأرواحهم وأموالهم بدون تردد رجالا وإناثا ، وكانت زوجاته الطاهرات أول المخلصات له ولدينه ، وأول العاملات على نشر ذلك الدين والقيام بما تفرضه عليهن آدابه وأحكامه . ولكن مع كل هذا فقد تغلبت الطبيعة البشرية فى بعض نواحيها ، وحملتهن الغيرة على أن يتآمرن ويتحزبن فيما لا حق لهن فيه .

نعم إنهن مجتهدات ، ولهن الحق فى أن يفهمن ما لهن وما عليهن ؛ ولكن على كل حال فالذى يجب على المسلمين هو أن يقتدوا به صلى الله عليه وسلم فى جميع أقواله وأفعاله التى جاءهم بها ، فإنه إنما يفعل ويقول بوحى من لدن عليم خبير .

لا شك فى أن تعـدد الزوجات يترتب عليه كثير من المضار الخلقية والعمرانية ، وتظهر آثاره السيئة فى الأولاد وتربيتهم ومعاملة بعضهم بعضا ، فانهم بدلا من أن يكونوا متحدين على الجهاد فى هذه الحياة ومقاومة الصعوبات التى تعترضهم ، ينقلبون أعداء يؤذى بعضهم بعضا . ولهـذا اشترط الله تعالى لمن يريد أن يعدد الزوجات أن يعدل بينهن فى الحقوق التى لا بد منها ، ومن هـذا العدلُ بين الأولاد ، فمن عجز عن العـدل أو حملته شهوته على إرضاء حبيبة وإقصاء أخرى فإنه يحرم عليه أن يعـدد الأزواج تحريما باتا . نعم لا يكلف الانسان بالعدل إلا فيما هو قادر عليه وداخل تحت اختياره من مأكل ومشرب وملبس ونحو ذلك ، أما الحب القلبى الطبيعى فذلك ليس مكلفا بالعـدل فيه لأنه ليس داخلا تحت اختياره . وفى هـذه الحالة يقول الله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » الآية . ومعناها ظاهر ، وهو أن الانسان لا يستطيع أن يكلف قلبه أن يحب هذه مثل تلك ، لأن ذلك إنمـا هو فعل الله وحده ولا اختيار للانسان فيه . أما التسوية فيما عـدا ذلك من الحقوق فهى واجبة لأنها فى طوق الانسان واختياره بلا نزاع .

والذى أعتقده أن قوله تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا » الآية ، زجر شديد للناس ونهى جازم عن تعدد الزوجية ، لأن مجرد الخوف من عدم العـدل يحرم التعدد ؛ فما ظنك إذا كان الرجل ضعيف الشهوة ينقاد لزوجته الجميلة لا محالة ؟ لا شك أن هذه الآية معناها الاقتصار على زوجة واحدة ، ولا عذر للناس الذين يعددون الأزواج خصوصا البؤساء الذين لا يستطيعون الانفاق على أولادهم فيتركونهم عالة يتكففون الناس ، ويتركون نساءهم عرضة للفساد بلا مبالاة .

إن هـذه الحالة الاجتماعية يجب علاجها ، ويجب أن يكون للدين سلطانه القوى فى مثل هذه الأحوال ، ويجب أن يعـلم الناس جميعا أن الدين الاسلامى مبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأنه قائم بالقسط فى جميع أحـكامه وأوامره ونواهيه ، وأنه لا ينفك عن محاربة

الشهوات الفاسدة فى كل زمان ومكان ، فلا يقر الدين الاسلامى تعدد الأزواج بدون ضرورة ، ولا يسمح لأحد أن تسوقه شهوته فى السبيل الذى يودى به ونسله بدون حساب .

وبعد : فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدوة فى قوله وفعله ، وقد اقتضت ضرورة النبوة أن يعدد الأزواج لأسباب يقتضيها الدين ، وقـد اعترف أعداؤه قبل أصدقائه بما كان عليه من عفاف وطهارة وبُعـد عن الشهوات ، حتى إنه قـد كان فى بعض الأوقات يعصب بطنه بالحزام (الحِجْر) لما يجده من ألم الجوع . والذى يفعل ذلك مع وجود وسائل الشهوات كلها بين يديه لهو جـدير بأن يحكم نفسه عن شهوة النساء أيضا ، ومع هـذا فانه فى نضارة شبابه ومبدأ قوته كان مقصورا على زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها ، فلم تبعثه شهوة الى غيرها ، ولم تؤثر عليه البيئـة التى كان فيها فيتزوج من النساء مايحب بدون حـد ولا عد . ولـكن بعد نبوته وبعد أن بلغ من العمر مبلغا تنكسر فيه حدة الشهوة غالبا ، اقتضت ظروف النبوة ، وظروف تبليغ الأحـكام وحفظها ، وظروف الارتبـاط بالقبائل للدفاع عن الدين ، أن يخص نفسه بتعدد الأزواج ؛ ومع ذلك فقد نهاه الله تعالى عن أن يتزوج غير هذا العدد الذى اقتضته الضرورة ، فقد قال تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تَبدّل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن » . ولم يكن من نسائه واحدة جميلة سوى عائشة وزينب ، وباقيهن تزوجه للضرورة التى ذكرناها ، فـكان صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام أقل من جميع أفراد أمته استمتاعا بالنساء لأنه حجر عليه أن يتزوج بغير هؤلاء ولم يكن بينهن شهيرات بالجمال . أما غيره فلا ، كما أوضحناه فى غير هذا المقام .

(٣) أما الهدية فإن الدين الاسلامى يقرها ، وقواعده العامة تحث عليها ، لأن فيها مايقوى روابط المودة بين الناس ، ويؤكد دواعى الألفة بينهم ، وكل ما يفضى الى ذلك يقره الدين حتما ، وعلى هذا فالأصل فى الهدية الجواز ؛ وإذا ترتب عليها أثر صالح كما ذكرنا كانت من أعمال البر التى يثاب الانسان على فعلها ؛ ولـكن يشترط فى الهـدية أن لا تكون لغرض خاص كالهدية التى توسل الى قاض أو حاكم لغرض خاص ، فإن هذه رشوة لا هدية .

وهاهنا أسئلة بعث الىّ بها بعض طلبة العلم النابهين ، فأحببت أن أذكرها وأجيبه عنها كما طلب منى ، لأن فيها فائدة عامة :

(١) لما سألت النبي أم سلمة فى مسألة الهدايا لم يرد عليها إلا فى المرة الثالثة ، ومع هذا قال لها فى الاجابة « لا تؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة » ، ويقول السائل : إن هذا الجواب ليس فى ظاهره إنصافا لأنها تسأل العدل فى القسمة الظاهرية .

أما أنا فأقول لهذا السائل : يجب أن يعلم أن أقوال النبي وأفعاله وحركاته وسكناته فى مثل هذه المواضيع لا يقصد منها إلا أن تـكون نموذجا لأمته ، فهو المشرع الأعظم الذى ينبغى للناس أن ينقلوا عنه كل ما يصدر منه بدون تردد أو ريب ، ويعملوا به .

على أن فعله فى هذا المقام فيه تأديب عظيم لأمته ، وعبرة وذكرى لقوم يعقلون ، وذلك لأن الاشتغال بمثل هذا اشتغال بسفاسف الأمور ، وطلب من الزوج لا محل له ، لأنه لا يدخل فى طاقته ، إذ ليس من الحسن مطلقا أن يقول للناس ابعثوا الى الهدايا وأنا فى بيت فلانة أو فلانة ، لأن الهدايا أمر فى ذاته لا يقصد منه إلا التحبب الى المهدى إليه . وما يدرينا أن الناس كانوا يرون أن عائشة أحق وأولى بأن ترسل لها الهدايا لأنها ابنة أبى بكر وفضله على الاسلام مشهور ، ولأنها أعلم نسائه وأشدهن معرفة بدين الله تعالى . ومن المحتم أن حب النبى صلى الله عليه وسلم إياها لم يكن ناشئا إلا عن أمر معنوى محض ، وهو ما امتازت به من علم وذكاء وفطنة ، وحفظ لشريعته التى ما عدد الأزواج إلا من أجلها ؛ فهذه مسائل كلها ليست فى اختيار الانسان ، ولا يكلف الانسان إلا بما فى اختياره ؛ والمشرع الأعظم قدوة للناس ، فكأنه يقول لهم : لا تكلفوا أزواجكم بما ليس داخلا تحت اختيارهم ، ولا تتعلقوا بسفاسف الأمور ولا بصغائرها . كما أنه يقول لهم : إن العدل بين الزوجات فرض عليكم فى كل ما هو داخل تحت اختياركم ، أما الحب القلبى لميزة من الميزات فإنه أمر ليس داخلا تحت اختياركم . فما فعله صلى الله عليه وسلم عين الصواب ، وإنما فعله ليقتدى الناس به بعد .

(٢) يقول الأستاذ : إن النزاع الذى وقع بين زينب بنت جحش وبين عائشة وسكوت النبى صلى الله عليه وسلم يدل على جواز ذلك الموضوع . ولعله يدرك من جوابى الأول الجواب عن الثانى ، وهو أن المقام كله مقام تشريع ، فيجوز لزوج الضرائر أن يتغاضى عما عساه أن يقع بين زوجاته فى بعض الأوقات على أن يشرف عليهن من بعد حتى لا يخرجن الى ما يؤذيهن فى دينهن أو عرضهن ، فاذا تمادين على هذا هددهن بالطلاق ، فاذا لم يرتدعن طلقهن فعلا . وهذه الحالة قد وقعت مع زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنهن لما تمادين فى هذا النضال هجرهن أولا ، ثم هددهن بالطلاق ، ثم خيرهن بعد هذا ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وتركن ذلك النضال ، وانتهت المسألة عند هذا كما هو معروف فى أحاديث البخارى وتفسير سورة التحريم . ومن هذا يتضح للسائل أن سكوت النبى صلى الله عليه وسلم كان عين الصواب .

أما قوله : إنها ابنة أبى بكر ، فذلك لأن زينب كانت ظالمة ، فإفحامها إفحام للظالم ، ومن شريعته صلى الله عليه وسلم النهى عن الظلم والانتصار للمظلوم ، وإلا فما شأن زينب وشأن عائشة ، وما ذنب عائشة فى هذا المقام ؟ إن الهدايا التى كانت ترسل اليها كانت تقسمها بينهن وتبعث اليهن بها ، ولم تقل للناس اهدوا الرسول وهو فى دارى ، فأى ذنب لها يستلزم غضب زينب بنت جحش حتى تشتمها ؟ لاشك فى أن فعل النبى وقوله فى هذا المقام عدل مطلق ، ومثال صالح لمن يقتدى به من أمته ، فمن ابتلى بالجمع بين الضرائر فعليه أن يقتدى بهذه الأخلاق الكريمة ، وعلى الناس أن يتخذوا من قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله أسوة حسنة لعلهم يفلحون ؟

عبد الرحمن الجزيرى

فى الشدائد دروس وعظات (١)

هذه نظرية علمية صحيحة لا شك فيها ، بل سنة كونية ما تخلفت ولن تتخلف ، بشرط أن يكون من نزلت به الشدة ، أو أحاط بها علما ، جامعا لصفات ثلاث : العقل ، والثقافة ، والتربية . يشهد بذلك أن الانسان مهما ارتقى فى صفاته ومواهبه ، أو انحط فى إدراكه وخلائقه ، فلن يعدو مقصودُه أن يكون جَلبَ محبوب ، أو دفع مكروه ؛ فالتخلص من المكروهات حاجة ضرورية من حاجات النفس ، كتحصيل المحبوبات سواء بسواء . ومما لا ريب فيه أن الحاجة تفتُق وجه الحيلة ، وأن المصائب مظهر المواهب ، والشدائد تصهر النفس ، وتشحذ الهمم ، وتيقظ ما فيها من غفوة وخمود .

لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيبُ عَرفِ العود

إن الأمة السعيدة هى التى تنتفع بالشدائد والمحن ، وتكون فى ذلك أشبه بالذهب يُصهر بالنار ، فيُصقل ويَنصُل ذهباً خالصاً نقياً ، فهما أصابها من هزاهز الفتن ، وكُرَب البلايا ، فانها تثبت للصدمة ، وتسترشد فى حاضرها بما أصاب غيرها من الأمم السالفة ، وتأخذ نفسها بالحزامة والبصر بما وفقت اليه من عظة واعتبار .

أما الذين تجردوا من تلك الخلال التى أسلفنا بيانها ، فليس لهم حظ من الاعتبار بالشدائد والانتفاع بها ، وإنما الذى يصيبهم عند حلولها هو اليأس والقنوط ، وهو موت الأحياء ، إذ لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة . وإن فردا من الناس ، أو أمة من الأمم على هذا النحو من ضروب الخور والضعف ، جدراء بأن يصيبهم ما أصاب الأمم الضعيفة من الاستعباد والهوان ، ثم الانقراضِ والفناء .

والذين أخذوا نصيبا من الخصال المذكورة ولم يستوفوها ، فأولئك يكون اعتبارهم بالشدائد ، وانتفاعهم بها على قدر ما أخذوا وحصلوا ، قل أو كثر ؛ وفى المشاهد الكونية ، والمثل العلوية ، وفى بطون التاريخ والحوادث الحاضرة ، ما يشهد بذلك ، ويدل عليه أصدق دلالة . وإن القرآن الكريم ، وهو أجمع وأفضل كتاب أنزل على خاتم الأنبياء وخيرهم صلى الله عليه وسلم ، ذكر الشدائد التى نزلت بأمم سلفت ، وبيّن أسبابها وبواعثها ، وكرر ذلك فى مواطن كثيرة ، تنبيهاً للعقلاء ، ولفتا لأنظارهم الى سنة الله فى كونه ، وعقّب ذلك بنحو قوله : « لقد كان فى قَصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترَى ، ولكنْ تصديقَ الذى بين يديه ، وتفصيلَ كل شىء وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون » ، وقوله : « وكلاًّ نقص عليك من

(١) أطرف حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل شيخ علماء الاسكندرية قراء العربية بهذه الكلمة القيمة بناء على دعوة من وزارة الشئون الاجتماعية ، فأصبح واجبا علينا أن نعين على توسيع دائرة انتشارها .

أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحقُّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين » ، وقوله : «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ، عقّب بهذه الآية كل قصة من قصص أولئك الذين أهلكهم الله بسيئات أعمالهم .

وليست العبرة والعظة فى الشدائد وحدها ، بل إن فى السعادة عظة وعبرة ، لذلك بين الله سبحانه وتعالى فى إسعاد من أسعدهم ، الأعمال الصالحة التى سعدوا بها ، فكما أن الأعمال الصالحة سبب لارتقاء الفرد والجماعة ، وسبب لتحصيل الحياة الطيبة ، كذلك أضدادها سبب للتعثس فى الدنيا ، وسوء المنقلب فى الآخرة ، وذلك حكمة القصص فى القرآن ، فما كان إلا لبيان سنة الله فى خلقه التى لا تتبدل ، كما قال سبحانه وتعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

ولسنا نُبعد بالمثُل لذلك فى القديم والحديث ، فالتاريخ الإسلامى حدثنا عن الشدة لقيها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فى دعوته حين تألب عليه المشركون ، ووقفوا له بالمرصاد ، وحاولوا أن يحولوا بينه وبين دعوته الى الله تعالى ، وإبلاغها الى الناس كافة ، وخَذَله فى ذلك قومه من قريش ، حتى أهله وأعمامه وبنو قرابته الأدنون . ألح به صلى الله عليه وسلم العدوان والهوان ، وقل الصاحب ، وعز النصير ، وضاقت عليه وعلى أصحابه ، الفئة المجاهدة الصابرة القليلة ، مكةُ وشعابها ، وصارت قريش تنتقل معه من أذى الى أذى ، وتتبعه الى المجامع والأسواق ، يدعو الناس الى التوحيد ، فيقولون للناس : لا تسمعوا له ، إنه كذاب ، إنه ساحر ، إنه مجنون !

كل ذلك احتمله النبى صابرا ، واحتمل أصحابه معه أعظم السخريةِ والمهانة ، وباعوا أرواحهم معه بيع السماح ، فلم يعدل به عن الدعوة الى الله تعالى ، وتبليغها بكافة الطرق الى الناس ، وجعل يعالج القوم باللين مرة وبالشدة أخرى ، وفى غضون ذلك يظفر منهم بالرجل والرجلين والثلاثة ينضمون الى صفوفه وينفحون عنه وعن أنفسهم ، حتى إذا ضاق به خصومه ذرعا ، ويئسوا من انصرافه عن دعوته ، وأنه إذا استمر على ذلك نجح وخسروا فى زعمهم ، ائتمروا على قتله ، وتلك نهاية مخيفة ؛ ولكن الله أعلم نبيه الكريم بما ائتمروا به ، ورأى المعصوم صلى الله عليه وسلم بوحى منه تعالى أن يفر بدينه وبدعوته الى قوم من أهل المدينة ، تعاهدوا معه على النصر والهدم والدم ، وهم بعض الأوس والخزرج من النساء والرجال لا يزيدون على المائة ، كانوا قد تلاقوا معه سرا فى بعض حجيجهم الى مكة ، وسمعوا دعوته ، واستجابوا له ، وعقدوا معه هذا العهد . وإذ بيت الخصوم ما ائتمروا عليه من قتله صلى الله عليه وسلم فى هدأة من الليل كان النبى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبى بكر يضرب فى رمال الصحراء مهاجرا الى المدينة وقد وصل اليها ، وخاب القوم فى اللَّحاق به ؛ وفى المدينة أنجر فجر الاسلام ، وانبثقت الدعوة فوارة ، وتمتْ كلمة الله .

ذلك هو المثل الأعلى لمن استوفى شرائط الكمال فى الحياة من العقل الناضج ، والثقافة العالية ، والتربية الصحيحة ، والدروس التى يُنتفع بها من ذلك . والعبرة التى تستخلص من تلك الشدة القاصمة ، هى أن الثبات على العقيدة ، والصدق فى الجهاد ، والصبر على الشدائد ، تستتبع حتما الجزاء الأوفى ، وحسن المصير . وذلك مصداق قوله تعالى : « إنه من يتق ويصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

ولا جرم أن الله سبحانه وتعالى حقق للمعصوم صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، رضوان الله عليهم ، نصره ووعده ، تلقاء ما احتملوا واتقوا وصبروا وصدقوا ، فبدل فقرهم غنى ، وخوفهم أمنا ، وذلتهم عزة ، وقلتهم كثرة ، ووحدتهم جماعة ، وبداوتهم حضارة ، واستخلفهم فى الأرض ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأخضع لهم عروش الأكاسرة والقياصرة ، وملكهم زمام الدنيا فى المشرق والمغرب .

ولنضرب مثلا لمن لم يستوف شرائط الكمال فى الحياة ، بل أخذ حظا منها ، بفرنسا الصريعة الجريحة ، تلك الدولة التى شارفت السماكين ثقافة وازدهارا ، وحضارة وعمرانا ، ونافست أقوى الأمم مالا وجندا وعتاداً ، وأحاطت بعلوم الدنيا ، حتى قصد اليها الوارد والمتردد من الشرق والغرب ، ينهل من وردها الصافى شرابا سائغا ، وضربت المثل للعالم كله للحرية والإخاء والمساواة ، وكانت مثابة للمضطهدين والمظلومين والفارين السياسيين من كل ملة ونحلة ؛ ولكن مع هذا كله كان ينقصها شرط أساسى لكمال الحياة وبقائها طليلة ؛ كان ينقصها التربية الخلقية ، فقدنهلت وعلت من الشهوات ، وأسرفت فى الاستمتاع بكل لذة آثمة ، وتحللت من كل قيد للآداب العامة ، والأخلاق الفاضلة ، وغفلت عن المصير للأمم التى استعبدتها الشهوات واللذات ؛ لهذا لم تحتمل الشدة فى لقاء العدو ، وانهارت عند أول صدمة ، وضربت مثلا للهزيمة والفشل ؛ وفى ذلك دروس وعظات ينتفع بها غيرها من الأمم الأخرى فى حاضرها ومستقبلها ، فتأخذ نفسها بتحصين أخلاقها ، فانها الأساس المنعة والقوة ، وأمتن الروابط بين الأسر والعشائر وأبناء الوطن .

والحرب القائمة ــ وهى تعتبر من أكبر الشدائد على الانسانية فى التاريخ ــ فيها من العظات والعبر الشىء الكثير ؛ فلقد علمتنا أن المعاهدات الدولية التى كان الوفاء بها من أقدس الواجبات ، والشرف الدولى ، لا وزن لها ولا اعتبار ، بل هى قصاصات ورق ، وأن على كل أمة أن تأخذ حذرها من الأخرى مهما كان بينهما من عهود ومواثيق .

وعلمتنا أن لا قيمة للكيان السياسى لأى أمة إلا بما تحرزه من قوة التسليح والتجنيد ، وأن لا قيمة للدول الصغيرة إلا باتحادها وترابطها ككتلة واحدة . وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وعلمتنا أن دعاية الأمم الى احترام الحريات السياسية ، والرثاء لها ، والبكاء عليها ، وأن الدعاية الى نقص التسليح ، ووضع موازنة عامة للدول المساحة ، كل ذلك وهم وكذب وتضليل ، وإنما هو حيلة الثعلب لتنويم الفريسة .

وعلمتنا أن العلم كالسكين تذبح بها الذبيحة للتذكية ، ويذبح بها الانسان للانتقام والشهوة ، وأن علم الدنيا لا يعصم المتصف به من اقتراف الشرور والآثام ، وأنه وحده لا يثقف الروح ، وإنما يغذى الناحية الحيوانية فى الانسان ويجعله حيوانا شرساً فتاكا ؛ فهذه المجازر البشرية ، ومحق الملايين من الخلق بلا رحمة ولا شفقة ، وتركها فى العراء تعافها الوحوش والطيور ، أكبر دليل على ذلك .

وعلمتنا أخيرا أن المدنيات الحاضرة هى مدنيات كاذبة ، وأنه جدير بالعالم أن يبحث من جديد عن مدنية جديدة تكفل له الاطمئنان والاستقرار والسعادة ، وتلك المدنية الجديدة التى نعنيها ، هى الرجوع الى الدين الصحيح .

ومن الأمم التى هى أجدر وأحرى أن تأخذ دروسا وعبرا من الحالة الحاضرة ، مصر ، فانها وإن تكن قد انتفعت بالشدائد والمحن التى صادفتها فى الحرب العالمية الكبرى ، وفى ثورتها الاستقلالية التى عقّبت الحرب ، فكسبت بجهاد شبابها ، واتحاد أقطابها استقلالا لا تزال تسعى لاستكمال بنائه ، وانتفعت بتنظيم جيش عديد الجند والسلاح والعتاد الى حد سمحت به الظروف ، وانتفعت بنشر العلوم والمعارف والثقافات ، وتأسيس الصناعات المختلفة مما سدت به بعض الحاجة التى أرهقتها فى الحرب الماضية — إن تكن قد انتفعت بالشدائد فقامت بكثير من المجهودات النافعة ، ولكنها مع الأسف لا تزال يُعوزها كثير من المعانى والاعتبارات والمقدرات التى هى شرط جوهرى لاستدامة حياة الأمم فى الوجود وبقائها سعيدة .

يعوزها مع الأسف الكثير تقويم أخلاقها وآدابها من الاعوجاج ، فقد خرجت على تقاليدها الصالحة ، وعلى آداب دينها الحنيف ، وأصبح الفساد شائعا فى كل شىء ؛ ويعوزها مع الأسف الكثير تحصين الأسرة ، فانها قد آذنت بالتفكك والانحلال ؛ ويعوزها مع الأسف الكثير اتفاق زعمائها وأقطابها السياسيين فى وقت هى أحوج ما تكون فيه للاتحاد والتساند والترابط لدرء العدوان ، فالاختلاف فى هذا الوقت العصيب أسوأ ما ينذر بالخطر والهزيمة الى الأبد ؛ ويعوزها مع الأسف الكثير اتقاؤها فوضى الشفاعات والوساطات والمحسوبيات فى الوظائف والأعمال ، فقد أصبحت التوصيات جوازات للتوظيف فى المناصب ، والترقى فى الدرجات ، ومنح العلاوات ؛ ويعوزها مع الأسف الكثير توجيه الشباب المثقف الى النشاط الاجتماعى ، والى نواحى القوة المعنوية فى الأمم الحية ، كالاستشعار بالعزة القومية ،

والكرامة الوطنية ، ونصرة المظلوم ، وإنقاذ المكروب ، وإغاثة الملهوف ، والمروءة والنجدة والشهامة ؛ ويعوزها مع الأسف الكثير تنظيم القرية ، والعناية بصحة الفلاح ، إذ الفلاح عصب الأمة ، تقوم على سواعده حضارتها وعمرانها ورخاؤها .

وأكبر ظنى أن مصر العزيزة التى هى زعيمة الشرق العربى قد أخذت من الشدائد دروسا وعظات ، فتى استقرت حالتها السياسية وسمحت لها الظروف المواتية ، تستطع أن تأخذ حظها من استمتاعها بالاستقلال الحقيقى فى كل ما تأتى وما تذر ؛ تستطع أن تضطلع بأعباء الحياة الصحيحة ، وأن تقتعد مكانتها تحت الشمس ، وتفوز بالعزة والسيادة والسلطان ، فى ظل زعيم الشباب المجاهد حقا ، جلالة الملك الصالح فاروق الأول ، حفظه الله لدينه ، ولشعبه ، وللوطن المفدى ؟

محمود أبو العيون
شيخ علماء الاسكندرية

كلمات فى السخاء

قال عبد الله بن عباس : سادات الناس فى الدنيا الأسخياء ، وفى الآخرة الأتقياء .

وقال أبو مسلم الخولانى وهو من الصحابة : ما شىء أحسن من المعروف إلا ثوابه ، وما كل من قدر على المعروف كانت له نية ، فاذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة ؛ وأنشد :

إن المكارم كلها حسن والبذل أحسن ذلك الحسن
كم عارف بى لست أعرفه ومخبر عنى ولم يرنى
يأتيهم خبرى وإن بعدت دارى وبوعد عنهم وطنى
إنى لحر المال ممتهن ولحر عرضى غير ممتهن

وقال عبد العزيز بن مروان أخو أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان : إذا أمكننى الرجل من نفسه حتى أضع معروفى عنده ، فيده عندى أعظم من يدى عنده .

ومن الشعر المنسوب لابن عباس قوله :

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرنى فى حاجة لم يجد لها سواى ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالى همه عن خناقه وزاوله الهم الطروق المساور
وكان له فضل على بظنه بى الخير إنى للذى ظن شاكر

حول السيرة المحمدية

سبق أن نشر الأستاذ الكبير وجدى بك كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك أهل زمنه وما كان لها من أثر لدى أولئك الملوك ، ثم كر على ذلك باستبعاد ما كان من ملوك النصرانية من تقارب هرقل وقوله لأبي سفيان : فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم الخ ، وما كان من المقوقس من قوله : وقد علمت أن نبيا قد بقى ، ومن إسلام النجاشي بالفعل ؛ استبعد كل ذلك بل جعله فى حيز غير المعقول ، بحجة أن هؤلاء الملوك كانوا متمسكين بدينهم أشد تمسك ، وأنهم كانوا يعتقدون ختم دياناتهم بتجسد الابن وافتدائه البشر الخ .

فرددت عليه أولاً بأن هذه الأخبار قد رواها أصحاب الصحيح كالبخارى فلا يصح تكذيبها بمجرد الاستبعاد ، لا سيما إذا كان ذلك الاستبعاد لم يقم على أساس . وثانيا بأن هؤلاء الملوك كانوا على ذكر من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوردت له نصوصا كثيرة من كتبهم ، ومن القرآن الذى نزل فى مواجهتهم ، تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبشرا به فى كتبهم ، وأنهم كانوا على علم بأمره . فلاحظ على حضرة الأستاذ جملة ملاحظات أعتقد أنها غير كافية لإقناعى ولا لإقناع أحد من الناس بوجهة نظره : ذلك أنه ترك بعض الأدلة من غير رد كالدليل الذى سقته من التوراة ، وأول بعض الأدلة تأويلا لا يمكن قبوله بحال من الأحوال كآية « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » الى آخر الآية ، فانه جعل أولها فى حق النصارى وآخرها فى حق المسلمين ، مع ما يلزم على ذلك من تشتيت مرجع الضمائر واختلال نظام الآية ؛ مع أن الآية مسوقة مساقا واحدا لبيان حال النصارى بالنسبة الى المسلمين بعد أن بينت حال اليهود والمشركين بالنسبة اليهم . وأراد أن يتخلص من تكذيب البخارى بدعوى أن ما كذبه هو القطعة المروية عن ابن الناطورى وهو ليس بثقة عند أحد من الناس ، مع أن قصة هرقل مع أبي سفيان ليست مما رواه ابن الناطورى بل هى مروية عن أبي سفيان . وأنا فى ردى عليه لم أعرج على ما رواه ابن الناطورى ، كما أنى لم أزعم أن هرقل قد أسلم ، والقطعة التى رواها ابن الناطورى لا تدل على إسلام هرقل .

ولما كان هذا الموضوع من الخطورة بمكان ، وكان حضرة الأستاذ الكبير من الاحترام والتقدير عندنا وعند كل من يقرءون له بمكان ، وكان الكتاب المزمع إخراجه فى هذا الموضوع من الأهمية بمكان ، وكان يهمنا جدا أن يخرج هذا الكتاب سليما كاملا غير منقوص ، بعيدا عن الشوائب والشبه التى توجب الاعتراض بل الامتعاض ، وخاليا من

الآراء الخداج حتى يعم النفع به ويؤدى الى النتيجة المرجوة منه إن شاء الله تعالى ؛ لذلك كله رأيت أن أعود الى الكتابة فى هذا الموضوع ببسط أوسع ، وبأدلة أكثر وبيان أوفى ؛ وقبل أن أخوض فى الموضوع أرى لزاما علىّ أن أشكر للأستاذ ما يبذله من جهد فى خدمة الدين الاسلامى ، وأن أسأل الله تعالى أن يسددنا جميعا ويوفقنا لخدمة هذا الدين الحنيف الذى نام عنه أهله وهم فى أشد الحاجة اليه ، بل أعرضوا عنه ، وإنما يعرضون عن عزهم ومجدهم بل حياتهم « لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ، أفلا تعقلون » .

ولما كان أهم ما يدور عليه البحث فى هذا الموضوع هو : هل كان المسيحيون يعتقدون أن ديانتهم قد تمت بتجسد الابن كما يقولون ، وأن من المستحيل مجىء نبى آخر بعد عيسى عليه السلام ، أو أن الأمر بالعكس وأنهم كانوا هم واليهود أيضا يعتقدون مجىء نبى آخر ؟ فانه إذا ثبت هذا الشق الأخير كان من المعقول والمقبول ما حكى عن ملوك المسيحية من إسراع النجاشى الى الاسلام ، وتقارب هرقل وقوله ما قال ، ومجاملة المقوقس وقوله ما قال ، بخلاف ما إذا كانوا على اعتقاد تام باستحالة مجىء نبى آخر ، فان الأمر يشكل حينئذ ، وتجىء قاعدة علم النفس وعلم الاجتماع ، ويكون من المعقول ألا تتغير أفكار هؤلاء الناس دفعة واحدة ، بل يحتاج الأمر الى ممارسة طويلة .

لما كان الأمر كذلك رأيت أن أبدأ بهذا الأمر الذى هو بيت القصيد مما يدور اختلافنا عليه ، وسأسوق من الأدلة والوقائع المحسوسة ما يدل دلالة قاطعة على أن اليهود والنصارى كانوا على علم تام بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، مع ذكر ما أورده الأستاذ ودفعه :

١ — ورد فى إنجيل يوحنا إصحاح ١٦ : ٨ : لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئته الخ .

وورد فيه أيضا إصحاح ١٦ : ١٢ : إن لى أمورا كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق .

فهاتان آيتان من كتاب مقدس عندهم ، صريحتان كل الصراحة فى أنه سيأتى رسول بعد عيسى عليه السلام ، بدليل قوله : إن ذهبت أرسله ، وفى أن شريعتهم لم تكن قد تمت بعيسى عليه السلام ، بدليل قوله : ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وفى أن تمامها سيكون على يد ذلك الرسول المنتظر ، بدليل : فهو يرشدكم الى جميع الحق ، بل وتدلان فوق ذلك على أن الرسول الآتى خير وأفضل من عيسى لأنه جعل انطلاقه الذى يترتب عليه مجىء ذلك الرسول خيرا لهم ، ولا يعقل ذلك إلا إذا كان الآتى خيرا من الذاهب ، وجعل تمام الشريعة على يده ، وفيه إشارة يفهمها ذوو الألباب الى هذا .

هذا الفهم الذى ذهبنا اليه يكاد يكون فى مستوى البدهيات ، والخلاف فيه لا يعدو أن يكون مكابرة لا تسمع . ولكن الأستاذ لم يرتض هذا الدليل دليلا ، فإنه قال : « وما استشهد به فضيلة الأستاذ من إنجيل يوحنا وعده علماؤنا تبشيرا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فإنهم ينكرون أن المقصود به محمد ويقولون إن المقصود به روح القدس ، وهو الأقنوم الثالث من الأقانيم الثلاثة فى شريعتهم ، وقد أجمعوا على ذلك من أول عهدهم بالنصرانية الى اليوم » .

هذا هو الرد الذى رد به الأستاذ الذى يريد أن ينقى السيرة المحمدية مما عاق بها من الأساطير الخيالية ، فقل لى بربك ما هو الأقنوم الثالث الذى سيرسل بعد عيسى عليه السلام ويكون خيرا من عيسى ويبين لهم كل شىء ويبكت العالم ؟ هل هو رجل يمشى على رجلين ويتكلم ويحتج ويبكت ويبين ويرشد ؟ وهل أرسل ذلك الأقنوم ، صلى الله عليه وسلم ، ومتى والى أى جهة ، وأين شريعته الجديدة التى هى أوفى من شريعة عيسى عليه السلام بنص الانجيل ؟

أنا أخاطب الأستاذ الذى يريد أن ينفى ما لا دليل عليه ، فهل يرى أن هذه التأويلات ليست مما لا دليل عليه حتى يعول عليها فى رده ؟ وهل كان هرقل صاحب العلم الواسع والعقل الراجح يعتقد بمثل هذه الأساطير ؟

وهل نأخذ من إيراد الأستاذ هذا الجواب مع السكوت عنه أن الأستاذ يرى أن عيسى عليه السلام جاء بالتثليث لأن هذا لازم قولهم بالأقانيم الثلاثة لأول عهدهم بالنصرانية ، لأنهم فى أول عهدهم بالنصرانية لم يكن عندهم إلا ما تلقوه عن المسيح عليه السلام مباشرة ، فكيف يقال إنهم كانوا يقولون بالتثليث فى ذلك الوقت إلا بهذا الاعتبار ؟ أما نحن فنعتقد أن هذا محض اختلاق من متأخرى النصارى ، وأن عيسى عليه السلام ما جاء إلا بالتوحيد الخالص ، شأنه فى ذلك شأن بقية إخوانه من الأنبياء والمرسلين ؛ قال الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » الآية ؛ وحاشى للسيد المسيح عليه السلام أنه يقول بالتثليث وهو القائل كما فى إنجيل يوحنا إصحاح ١٧ : ٣ : وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته . أليست هذه الآية نصا فى التوحيد بأبلغ وجه ؟ أليست مساوية فى المعنى لكلمة الشهادة عندنا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؟ وفى إنجيل يوحنا أيضا إصحاح ٨ : ٤ : وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . أما التوراة فتكاد تكون كلها توحيدا ، وقد قرر التوحيد فيها بأشد ما يتصوره العقل ، وقد وصف الإله فيها بأنه إله غيور وبأنه نار كله الخ ، فكيف يسوغ أن نترك ما أجمعت عليه كتبنا وكتبهم ودلت عليه بداهة العقل وندعى إجماعهم على القول بالتثليث من أول عهدهم بالنصرانية ؟ أنا أشك فى أن ذلك مذكور عندهم الى أبعد حدود الشك . وأين ذكر ذلك الإجماع وما سنده ؟ نعم يوجد فى الأناجيل التعبير بالابن والأب

بكثرة ، ولكن الإنجيل نفسه حل هذا الإشكال ، ففسر الابن بالمطيع والآب بالمطاع ، ولم يخصه بعيسى عليه السلام بل أطلقه على الكل ؛ ففي الإنجيل : أنتم أبناء الله لأنكم تعبدون الله ، وأما أولئك الذين يعبدون الشيطان فإنهم أبناء الشيطان . وتكرر التعبير بأبوكم الذى فى السماء ؛ وهذا تعبير سائغ على حد قولنا : فلان هذا ابن الطريقة الشاذلية ، وابن الحانة ، إذا كان ملازما لها .

٢ — ورد فى التوراة إصحاح ٣٣ : ١ تثنية : جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران . وفاران هذا أحد جبال مكة ، بدليل ما ورد فى التوراة نفسها إصحاح ٢١ : ٢٠ تكوين بصدد بيان قصة اسماعيل وأمه هاجر : وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران . ولا يخالف أحد فى أن ابراهيم إنما ذهب بابنه وزوجته هاجر الى بطحاء مكة .

وقد سكت الأستاذ عن هذا الدليل فلم ينتقده بشىء . وليت شعرى ماذا عسى كان قائلا فيه ؟ أيقول : إن الأقنوم الثالث راح الى مكة وسكن فى برية فاران ؟

وهناك أدلة كثيرة منثورة فى كتب العهدين لا داعى لذكرها وإنما نشير اليها إجمالا .

٣ — من ذلك اختلاف بنى اسرائيل لما سمعوا قول عيسى عليه السلام هل هو النبى أو المسيح ؟ فقال بعضهم : هذا بالحقيقة هو النبى ، وآخرون قالوا : هذا هو المسيح . إصحاح ٧ : ٢١ يوحنا . فهذا يدل دلالة قاطعة على أنهم كانوا ينتظرون المسيح والنبى عليهما الصلاة والسلام ، ومثل سأقيم لهم نبياً مثلك من بين بنى إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه الخ .

وقد أشار القرآن فى مواضع كثيرة جدا الى وجود هذه البشائر فى كتبهم وأنهم يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم حق المعرفة .

٤ — قال الله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها الذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » الآية . أليس هذا يفيد أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم ؟ انظر الى قوله تعالى : « الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل » فالواو فى قوله يجدونه راجع الى أهل الكتاب لا الى المسلمين ، فهل يصح بعد هذا أن يقال : « أما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بشر به فى التوراة والإنجيل فصحيح ولكن ليس المعول على إيماننا نحن بذلك وإنما المعول على إيمان أصحاب تلك الكتب به ، وقد دل تاريخ الدعوة الإسلامية على أنهم لم يؤمنوا به » ؟ فما هو ذلك التاريخ الذى دل والقرآن نفسه ينادى بأنهم يعلمونه حق العلم ويجدونه مكتوبا عندهم فى كتبهم ؟ فإن أراد الأستاذ بقوله : وقد دل التاريخ على أنهم لم يؤمنوا به ، إن أراد أنهم لم

يذعنوا وينقادوا قلنا ذاك لم ندعه ، وإنما ادعينا أنهم يعلمونه وأن عـدم إيمانهم به إنما هو جحود ومكابرة .

٥ — قال الله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الـكافرين » . فهذه الآية الـكريمة تصرح بأن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت مصداقا لما فى كتبهم ، وأنهم كانوا ينتظرونه بفروغ صبر لأنهم كانوا يترقبون النصر على يديه ، وكلما غلبهم كفار يثرب قالوا لهم : قد آن أوان نبى يبعث نقتلـكم معه قتل عاد وثمود . وقد كان هذا هو السبب فى سرعة استجابة الأنصار للدعوة الاسلامية ؛ فقد روى أنه لما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم للاسلام قال بعضهم لبعض : هذا هو النبى الذى كانت توعدكم به يهود لا يسبقنـكم اليه . فهذه حادثة واقعية بل وقائع متكررة تدل على علمهم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته .

٦ — روى البخارى فى آخر حـديث الهجرة ص ١٢٧ ج ١٥ قصة اسـلام عبد الله بن سلام ما نصه حرفيا : فلما جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فانهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فىّ ، فأرسل نبى الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتـكم بحق فأسلموا ، قالوا ما نعلمه ، قالوا للنبى صلى الله عليه وسـلم وقالها ثلاث مرار ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشى لله ما كان ليسلم ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشى لله ما كان ليسلم ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا حاشى لله ما كان ليسلم . قال : يابن سلام اخرج عليهم ، فخرج فقال : يا معشر اليهود اتقوا الله فو الله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقا وأنه جاءكم بحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم النبى صلى الله عليه وسلم .

وأظن أنه ليس وراء ما جاء فى هـذا الحديث صراحة فى أنهم كانوا على بينة من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فها هو النبى صلى الله عليه وسلم يحلف بالله الذى لا إله إلا هو أن اليهود يعلمون أنه رسول الله حقا ، وأنه جاءهم بحق ؛ وها هو عبد الله بن سلام أعلم اليهـود وابن أعلمهم بشهادة اليهود أنفسهم يحلف بالله الذى لا إله إلا هو أن اليهود يعلمون أن محمدا رسول الله حقا وأنه جاءهم بحق . فهل يصح بعد هذا أن يدعى أن اليهود ما كانوا يعلمون من أمر النبى شيئا ، وأنهم كانوا يعتقدون انحصار النبوة فى شعب اسرائيل ، وأنها وقف عليهم لا تتعداهم الى غيرهم ، وأن كون محمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل كاف فى نظرهم للتـكذيب به ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم منهم ؟ البقية للعدد الآتى

محمد عبد الله الجرينى

حول هذه الملاحظات

حفز بعض ما كتبته فيما يتعلق بما روى عن هيرقل والمقوقس وعن النجاشى ، فضيلةَ الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الله يوسف الجهنى الى إبداء ملاحظات عليه ، وقد أجبت فضيلته بما اعتقدته فاصلا فى الخلاف الذى شجر بيننا ، ولكنه لم يقتنع به ، وبعث الى بملاحظات عليه اضطررت الى شطرها للأسباب التى قدمتها ، ولم أر بدا من التعقيب على الشطر الأول منها . وإنى قبل أن أبدأ ما أنا بسبيله مما تصديت له أشكر فضيلته على ثنائه الطيب ، وتقديره الجميل ، راجيا الله أن يجزيه عليهما الجزاء الأوفى .

وبعد ، فإن كل مسألة خلافية إذا لم توضع وضعا محددا من بساط البحث ، يتشعب الكلام عليها ، ويطوح بالمتناظرين الى مواضيع جديدة ، يصبح معها الوصول الى نهاية حاسمة فى الموضوع الأصلى متعذرا .

لذلك رأيت أن أحاول وضع المسألة التى تشغلنا موضعها ، بحيث يتناولها البحث ولا يجر الى غيرها .

أصل الخلاف : أنى ارتبت فيما رواه البخارى عن حشد هيرقل لأهل دولته وعرضه الاسلام عليهم للوجوه التى ذكرتها .

فلاحظ علىّ فضيلة الأستاذ بأن روايات البخارى لا يجوز استبعادها بمجرد الظن .

فبينت لفضيلته أن هذه الرواية ليست مسندة الى الرواة الذين يزكيهم البخارى ، ولكنها مسندة الى ابن الناطور وهو ليس بثقة عند أحد .

وارتبت أيضا فى إسلام النجاشى ، وإعلانه الاسلام فى وسط أمة متعصبة لدينها ، واستبعدت أن يكون كتب الجواب المروى عنه فى كتب السير .

فلاحظ على فضيلة الأستاذ بأن إسلام النجاشى رواه البخارى ، وقد صلى عليه النبى بعد موته صلاة الغائب .

فدفعت ذلك بأن ذلك النجاشى الذى صلى عليه النبى ، قد يكون نجاشيا غير الذى أرسل اليه الكتاب ، أسلم وأخفى إسلامه لتعذر إعلانه ، واستدللت على ذلك بأن البخارى لم يذكر أنه صاحب الكتاب ، وأن مسلما تلميذه صرح بأن صاحب الكتاب غير الذى أسلم ، فلا يبقى للجواب الذى تشككنا فيه موجب .

وشككت فى كتاب المقوقس ، وقلت إنه كان مسيحيا ، وأن المسيحيين ما كانوا ينتظرون رسولا .

فلاحظ علىّ فضيلة الأستاذ بأن النصارى كانوا ينتظرون رسولا بعد عيسى ، بدليل ما ورد فى الانجيل من التبشير به ؛ وأن اليهود كانوا ينتظرون نبيا ، بدليل ما ورد فى التوراة من ذلك أيضا .

فرددت على ذلك بأن النصارى فهموا من الانجيل بأن المبشر به فيه هو روح القدس ، وأن اليهود كانوا يتوقعون ظهور نبى ، فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم من العرب كفروا به لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون إسرائيليا .

فلاحظ علىّ بأن ذلك يخالف ما نص عليه القرآن .

فأجبته بأننا إنما نحكى فهمهم هم لا فهمنا نحن .

* * *

هذا هو الوضع الأصلى لهذه المسألة . ولما نُشرت ملاحظات الأستاذ و نُشر ردنا عليها ، أتانا من فضيلته ما يرى القراء الشطر الأول منه هنا . وها نحن نعقب عليه إحقاقا للحق ، لا إيثاراً للجدل :

قال فضيلته ما خلاصته : ولما كان أهم ما يدور عليه البحث هو : هل كان المسيحيون يعتقدون أن ديانتهم قد تمت بتجسد الابن كما يقولون ، وأن من المستحيل مجىء نبى آخر بعد عيسى ، أم كانوا هم واليهود ينتظرون مجىء نبى آخر ؟

ثم ساق فضيلته من الأدلة ما نقله عن انجيل يوحنا من أن المسيح ذاهب ، وأنه سيرسل الى قومه بمن سماه المعزِّى وروح الحق ليرشدهم الى كل الحق .

وتشدد فضيلته فى دحض ما قلناه من أن النصارى إنما يعتقدون أن المسيح بشرهم بمجىء روح القدس وهو الأقنوم الإلهى الثالث فى عقيدتهم ، لا برجل رسول كما نعتقد نحن .

وبالغ فضيلته فى التشديد حتى قال : « هذا الفهم يكاد يكون فى مستوى البدهيات ، والخلاف فيه لا يعدو أن يكون مكابرة لا تسمع ، ولكن الأستاذ (يعنينى أنا) لم يرتض هذا الدليل دليلا . فانه قال : وما استشهد به فضيلة الأستاذ ، وعده علماؤنا تبشيرا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فانهم ينكرون أن المقصود به محمد ، ويقولون إن المقصود به روح القدس ، وهو الأقنوم الثالث من الأقانيم الثلاثة فى شريعتهم ، وقد أجمعوا على ذلك من أول عهدهم بالنصرانية الى اليوم » .

ثم قال فضيلته :

« هذا هو الرد الذى رد به الأستاذ الذى يريد أن ينقى السيرة المحمدية مما علق بها من الأوهام والخرافات ، فقل لى بربك ما هو الأقنـوم الثالث الذى سيرسل بعـد عيسى عليه السلام ويكون خيرا من عيسى الخ » .

ثم قال فضيلته محتدا :

« أنا أخاطب الأستاذ الذى يريد أن ينفى الأساطير الخيالية ، فهل لا يرى أن هذه التأويلات أساطير خيالية ، حتى يعول عليها فى رده (كذا) ، وهل كان هيراقل صاحب العلم الواسع ، والعقل الراجح ، يعتقد بمثل هذه الأساطير ؟ وهل نأخذ من إيراد الأستاذ هذا الجواب مع السكوت عنه ، أن الأستاذ يرى أن عيسى عليه السلام جاء بالتثليث (كذا) » .

أقول : إنى متأسف كل الأسف أن يفهم فضيلة الأستاذ مما ذكرته أنى أقر اليهود والنصارى على ما فهموه من كتبهم ، بعد أن قلت فى السطر الثامن عشر من الصفحة (٥٠١) :

« أما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بُشر به فى التوراة والانجيل فصحيح ، ولـكن ليس المعول على إيماننا نحن بذلك ، وإنما المعول على إيمان أصحاب تلك الـكتب به » .

فأنا مجرد ناقل لمذهبهم لا مثبت له ، والنقل عن الخصوم سنة متبعة ، لا تستوجب أية تبعة . وإذا كنت نقلته ولم أفنده فلأنى كنت فى مقام نسبته إليهم ، لا فى مقام مناقشتهم فيه .

وإنى لأجل أن أثبت للقراء بأن ما ذكرته عما نسميه نحن بشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، هو ما ذكرته عن فهم المسيحيين له ، أنقـل لهم ما كتب فى دائرة المعارف الـكبرى للاروس وهى أكبر موسوعة عالمية ، قال :

« إن كلمة (باراكليت) هو الاسم الذى أطلقه يوحنـا صاحب الانجيل الرابع على الروح القدس .

« للباراكليت فى المذهب اليوحانّى شأن عظيم جدا . فان الـكلمة الإلهية بعد أن تجسدت وأدت عملها (يريد عيسى) ، وعادت الى جوار أبيها ، تركت للحواريين المحزونين المعزّى العظيم الشأن ، وهـو الباراكليت الذى كُلف بأن يتابع الى آخـر الدهر العمل الذى بدأته الـكلمة الالهية ، وكان قد وعد عيسى حوارييه وهو يسلم الروح بإرساله اليهم بقـوله : « سأرسل لـكم الباراكليت » .

« ويوحنا صاحب الانجيل الرابع هذا ، يمثل الباراكليت تارة على شـكل شخص متميز ، وتارة ــ ولـكن كان هذا منه نادرا جدا ــ على حالة قوة ، على مثال ما فعل الانجيليون الثلاثة الآخر . ولـكن فى تلك وفى هذه الحالة قرر يوحنا أن الباراكليت تابع للأب وللابن .

« ومما لا شبهة فيه أن الكنيسة قد اعتمدت على هذا الانجيل الرابع ، وأخذت منه الصورة الأولية لعقيدة التثليث . فالكلمة صارت بقدرة الله إلها مثل الآب ؛ وكذلك البارا كليت الذى يمثل فى هذا الانجيل اتصال الكلمة بالمؤمنين ، قد صار إلها أيضا كالآب والابن .

ثم ختمت دائرة المعارف هذا الفصل بقولها :

« وقد أهملت الكنيسة كلمة بارا كليت الآن ، وصار الشخص الثالث للثالوث المسيحى فى كل صقع مسمى بروح القدس » انتهى .

ونحن لا نورد هذا هنا لأننا نعتقده ، أو نريد المناقشة فيه ، ولكننا نورده لنقنع القراء بأننا فيما قلناه ، حكينا لهم عقيدة النصارى على ما هى عليه فى الواقع .

أفلا تعجب من أن الانجيلى يوحنا الذى استشهد فضيلة الأستاذ بقوله ، كان بسبب تصويره روح القدس شخصا متميزا ، خلافا لإخوانه الانجيليين ، حجة للنصارى فى القول بالتثليث ؟ وما داموا قد أجمعوا على القول بالتثليث على هذا النحو قبل البعثة المحمدية بقرون كثيرة ، وعلى القول بأن المعزّى المذكور هو أحد أقانيم هذا التثليث ، وأنه قد أرسل لهم فعلا وتولاهم بعد عيسى مباشرة ، وتكلف بتوليهم الى يوم القيامة ، فقد ثبت قولى إن النصارى ما كانوا ينتظرون رسولا بعد عيسى . وهذا لا يمنع أننا نعتقد أنهم لم يكونوا على حق من هذا الفهم ، وأن المقصود ببارا كليت فى إنجيلهم قد يكون النبى صلى الله عليه وسلم ، فصرفوه على الروح القدس ، وتحللوا بذلك من انتظار خاتم المرسلين .

لماذا سكتُّ عن تفنيد البشارات بالنبى صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب : سكتُّ عن تفنيدها لأنى أعتقد صحتها ، كما يعتقدها فضيلة الأستاذ !

مما عجبت له من ملاحظات الأستاذ ، أن فضيلته بعد أن أتى بالبشارة الواردة فى الاصحاح ٣٣ من سفر التثنية فى التوراة قال :

« وقد سكت الأستاذ (يعنينى) عن هذا الدليل فلم ينتقده بشىء ، وليت شعرى ماذا عسى كان قائلا فيه ؟ أيقول إن الأقنوم الثالث راح الى مكة وسكن فى برية فاران الخ » ؟

قال فضيلته هذا كأني قد كذبت بوجود بشارات فى التوراة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قلت فى السطر (١٨) من الصفحة (٥٠١) : « أما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بُشر به فى التوراة والانجيل فصحيح ، ولكن ليس المعول على إيماننا نحن بذلك ، وإنما المعول على إيمان أصحاب تلك الكتب به » ، ولست أظن أن من يصرح هذا التصريح ويكرره فى مقالة واحدة يصح أن يوجه إليه مثل هذا السؤال .

ولما انتهى الى قولى : « وقد دل تاريخ الدعوة الاسلامية على أنهم لم يؤمنوا به » أى بأن هذا تبشير بمحمد ، قال فضيلته : فما هو ذلك التاريخ الذى دل ، والقرآن نفسه ينادى بأنهم كانوا يعلمونه حق العلم ، ويجدونه مكتوبا عندهم فى كتبهم ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم ؟

أقول : أما أنهم لم يؤمنوا به فقد دل عليه القرآن نفسه لا التاريخ وحده ، فقال تعالى : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » . وأما أن كثيرا من أحبارهم وقساوستهم كانوا يعرفون أنه رسول ، مستدلين على ذلك بما كان مكتوبا عنه فى التوراة والانجيل ، وما شاهدوه من حاله من دلائل النبوة ، فيما لاشك فيه . فأسلم نفر منهم ، وأصر الباقون على عنادهم ، زاعمين أن هذه البشارات لاتعنيه ، حرصا على مكاناتهم أن تضيع ؛ فانقادت لهم الجماهير ، وهم أطوع إليهم من ظلالهم ، وهى طاعة ذمها الله تعالى فى قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » لا بمعنى أنهم كانوا يعبدونهم ، ولكن بمعنى أنهم كانوا يصدقونهم تصديقا مطلقا ويطيعونهم .

يخلص من هذا أن الذين نزل فيهم قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، كانوا قلة يمكن أن تتواطأ على الكتمان والعناد ، وعلى حمل من دونها على الانكار والإصرار تقليدا لها . ودليلى على ذلك أن قبائل اليهود التى غزاها النبى صلى الله عليه وسلم كانت تؤثر الجلاء وترك المال والسلاح ، وتخرج بأجسادها مهاجرة الى حيث تتعرض لكل ما يتصور من رزايا الفاقة والاغتراب ، على أن تعترف بالاسلام دينا وبمحمد رسولا .

وقد آثر بنو النضير القتل ، وكانوا ثمان مئة ، على أن يدخلوا فى الاسلام .

فما الذى كان يمنع هؤلاء إذا كانوا يعرفون أن النبى صلى الله عليه وسلم رسول كما يعرفون أبناءهم ، أن يسلموا به وقد انتهوا الى حيث لا يدع للإصرار والعناد محلا ؟

وإذا سلمنا جدلا بأن قصة هيراقل صحيحة ، وأنه جمع أكابر دولته وعرض عليهم الاسلام ، ألم تر أنهم كما رُوى عنهم « حاصوا حيصة حمر الوحش » ، وتدافعوا الى أبواب المدينة منكرين ساخطين؟ فلو كان هؤلاء يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم أما كانوا آمنوا به ؟

ليس من السنن الإلهية فى النفوس البشرية ، أن يعرف قوم بأسرهم صحة نبوة نبى كما يعرفون أبناءهم ثم يصرون على عدم الإيمان به ، لأن ما يصدق على النفر القليلين من أصحاب الزعامة من التواطؤ على العناد والإنكار ، لا يصدق على ملايين من الناس ليس لهم فائدة من وراء ذلك العناد والإصرار ، وخاصة على مدى قرون طويلة ، فان تلك البشارات فى التوراة والانجيل لا تزال باقية على ما كانت عليه بكل لغة الى اليوم .

لذلك قلت : إن أهل الكتاب لم يؤمنوا بأن المقصود من تلك البشارات النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فكيف يتفق هذا وما نطق به القرآن من أن أهل الكتاب كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ؟

إذا رجعنا الى الآية التي وردت فيها هذه العبارة، أمكننا أن نفهم موضوعنا على وجه يثلج عليه الصدر، ولا يتنافى مع الحوادث وسنن الكون، فاليك :

قال الله تعالى : « قل أي شيء أكبر شهادة، قل الله شهيد بيني وبينكم (الخطاب للمشركين)، وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى، قل لا أشهد، قل إنما هو إله واحد، وإنني بريء مما تشركون. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ».

سبب نزول هذه الآية أن رؤساء أهل مكة قالوا : يا محمد أما وجد الله غيرك رسولا. وقد سألنا اليهود والنصارى عنك، فزعموا أن لا ذكر لك عندهم بالنبوة ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآيات. (الرازى ص ٢٢ ج ٤).

الآية ناصة على أن اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن محمدا رسول الله حقا، كما يعرفون أبناءهم. والمعرفة الإجماعية محال، لأن شعبا برمته متى اعتقد شيئا فلا توجد قوة فى الأرض تستطيع أن تصرفه عنه، فكان يدخل فى الاسلام ضاربا بأقوال رؤسائه وبهم عرض الحائط.

ولكن الآية لم تنص على أن هذه المعرفة كانت بواسطة البشارات التى وردت عنه فى التوراة والانجيل، لأنها عبارات ملغوزة أشبه بالأحاجى، أو بالعبارات التى يستعملها كتاب الجفر مدعين بها معرفة الحوادث التى لم تقع ؛ وهذه العبارات يمكن صرفها الى نواح متعددة، وأشخاص متعددين. وهاهى لا تزال باقية فى التوراة والانجيل ولا تصادف يهوديا أو نصرانيا يعتقد أنها تعنى محمدا، اللهم إلا إذا كان من أهل النظر والاستدلال.

وقد صرح إمام المفسرين الرازى بأن هذه البشارات لا تحصّل لأصحابها معرفة بالنبي تعدل معرفتهم بأبنائهم، فقال :

« المكتوب فى التوراة والانجيل مجرد أنه سيخرج نبي فى آخر الزمان يدعو الخلق الى الدين الحق، أو المكتوب فيه هذا المعنى مع تعيين الزمان والمكان والنسب والصفة والحلية والشكل ؟ فان كان الأول فذلك القدر لا يدل على أن ذلك الشخص هو محمد عليه السلام، فكيف يصح أن يقال علمهم بنبوته مثل علمهم بنبوة أبنائهم ؟ وإن كان الثانى (أى أنه مذكور بنسبه وصفته وحليته)، وجب أن يكون جميع اليهود والنصارى عالمين بالضرورة من التوراة والانجيل بكون محمد عليه الصلاة والسلام نبيا من عند الله تعالى، والكذب على الجمع العظيم لا يجوز (أى أن صدور الكذب من أمة برمتها لا يعقل)، لأنا نعلم بالضرورة أن التوراة والانجيل ما كانا مشتملين على هذه التفاصيل التامة الكاملة، لأن هذا التفصيل إما أن يقال إنه كان باقيا فى التوراة والانجيل حال ظهور الرسول عليه الصلاة والسلام، أو يقال أنه مابقيت هذه التفاصيل فى التوراة والإنجيل فى وقت ظهوره، لأجل أن التحريف قد تطرق اليهما قبل ذلك.

والأول باطل لأن إخفاء مثل هـذه التفاصيل التامة فى كتاب وصل الى أهل الشرق والغرب ممتنع . والثانى أيضا باطل ، لأن على هـذا التقدير لم يكن يهود ذلك الزمان ، ونصارى ذلك الزمان ، عالمين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مثل علمهم ببنوة أبنائهم ، وحينئذ يسقط هذا الكلام .

«الجواب عن الأول أن يقال : المراد بالذين آتيناهم الكتاب : اليهود والنصارى ، وهم كانوا أهلا للنظر والاستدلال ، وكانوا قد شاهدوا ظهور المعجزات على الرسول عليه الصلاة والسلام فعرفوا بواسطة تلك المعجزات كونه رسولا من عند الله » .

مؤدى كلام الامام الرازى أن البشارات المكتوبة فى التوراة والانجيل ، لم تكن تفصيلية بحيث تؤدى حتما الى الايمان بمحمد عليه السلام بدون اشتباه ، وبما أن القرآن يقرر بأن أهل الكتاب كانوا يعرفون أنه رسول كما يعرفون أبناءهم ، فيكونون قد حصّلوا هذه المعرفة من ناحية اطلاعهم على ما أتى به من المعجزات ، لا اعتماداً على البشارات ، لأنهم كانوا أهل نظر واستدلال .

هذا رأى إمام المفسرين فى قيمة تلك البشارات ، وهو لا يعدو الرأى الذى أبديناه .

بقى علينا أن نعرف : هل مراد الكتاب أن جميع اليهود والنصارى كانوا يعلمون أن محمدا رسول الله ، وأنهم إنما تظاهروا بالكفر به بغيا وعنادا ؟

محال أن يكون هذا مراد الكتاب ، ومُنزله سبحانه يعلم أن السواد الأعظم من الأمم ، وخاصة فى ذلك العهد ، لا يجيلون فى شىء نظرا إلا إذا كان يتعلق بحاجاتهم المادية ، وأنهم كانوا فى حياتهم العقلية والروحية عالة على رؤسائهم الدينيين ، حتى عابهم على ذلك وعدّ عملهم هذا عبادة منهم لهم .

أما المعقول فهو أن الذين كانوا يعرفون أنه رسول كما يعرفون أبناءهم ، عدد محصور يمكن تواطؤهم على كتمان الحق حفظا لمكاناتهم المادية ، وأما الذين لم تساعدهم سلامة فطرهم على هذا التواطؤ الأثيم فأعلنوا إيمانهم ودخلوا فى جماعة المؤمنين .

هذا هو المعقول . أما حدوث هذا التواطؤ من أمة برمتها ، فلم تجر به سنة الله من لدن أن خلق العالم الى اليوم .

ومما يدل على أن الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم بواسطة البشارات ، لم يكن سهلا على العامة ، تاريخ إسلام كعب الأحبار وهو من أعلام بنى إسرائيل . فانه لما دعا رسول الله للاسلام ، فكر فى هذه الدعوة ، ونظر وبحث ، فرجح أن القائم بها رسول ، فكان يحضر مجالسه ولكنه لم يسلم حتى يتحقق من صحة علاماته . ولما توفى صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر ، صحبه كعب الأحبار ، ولكنه لم يسلم لعدم استيفائه ما يقنعه ؛ ولما مات الصديق وخلفه عمر ،

صحبه كعب الأحبار ، ولكنه لم يسلم أيضا ، فلما مات عمر وخلفه عثمان ، صحبه كما صحب سلفيه ، ولكنه خشى أن يدركه الموت قبل أن يعلن إسلامه ، فأسلم واندمج فى زمرة المؤمنين .

فإذا كان رجل مثل كعب يحتاج الى كل هذه السنين لتحصيل العقيدة بصحة نبوة الرسول ، فمعنى ذلك أنها كانت تحتاج الى نظر واستدلال وتثبت ، وأين هذا كله من العامة ؟

يخلص من هذا أن قصد القرآن من قوله إن أهل الكتاب كانوا يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم ، تلك الطائفة القليلة التى يمكن تواطؤها على الكتمان والإنكار .

وعليه فان ما قلناه من أن اليهود والنصارى لم يؤمنوا بأن تلك البشارات كان المقصود بها محمداً صلى الله عليه وسلم ، صحيح لا غبار عليه .

ولِمَ نذهب بعيدا ، أليست تلك البشارات موجودة فى كتب اليهود والنصارى الى اليوم ؟ فهل يفهمون منها فى قرارة نفوسهم أنها واردة فى النبى صلى الله عليه وسلم وينكرون ذلك بأفواههم ؟ لا يمكن أن يقول بهذا أحد . ومع هذا فأنا لا أنكر أن من كبار مفكريهم من أدتهم هذه البشارات الى الايمان ، فأصبحوا يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم ؛ ولكنهم مراعاة لاعتبارات شتى يكتمون ما تأدوا إليه ، ولا يبوحون به إلا لأمثالهم .

ألا ترى أن اليهود والنصارى لو كانوا آمنوا بتلك البشارات ، لكان عدد الداخلين منهم فى الاسلام يساوى على الأقل نسبيا عدد الداخلين فيه من ملل أخرى ؟ أفلا تعجب أن الذين دخلوا فيه من أصحاب هاتين الملتين وقد وجدت تلك البشارات فى كتبهم ، أقل كثيرا جدا ممن دخل فيه من أصحاب الملل الأخرى التى لم تأت مثل تلك البشارات فى كتبهم ؟

السبب واضح ، وهو أنهم لم يؤمنوا بأن تلك البشارات قد قصد بها محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنها كما يقول الامام الرازى غير مفصلة ولا تامة ، فاذا كان منهم من كانوا يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم ، فقد كان من تأثير الآيات والمعجزات التى صحبت مجيئه ، وأنا أزيد على ذلك بأن الأحوال والماجريات التى أحاطت بحياته ، دلت الكثيرين من اليهود والنصارى على أنه رسول فعرفوه كما كانوا يعرفون أبناءهم ، ولكنهم آثروا التواطؤ على الكتمان ، والعيش متمتعين بسلطانهم ، على المجاهرة بالحق وتحمل عبء الحياة الصالحة ، والتعرض لما تعرض لها الأنبياء والصالحون والشهداء .

إن غرضنا من هذا كله أن ننفى عن السيرة النبوية كل ما يثير أعاصير الجدل ، مكتفين بالمسلمات من الحجج ، وبالمقررات من البينات ، وهذا أفعل فى التأثير من الاستكثار مما يهيج المنازعات ، ويدعو الى المناظرات ؟

محمد فريد وجدى

باب الأسئلة والفتاوى

فى الرضاع

ورد الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر استفتاء من حضرة السيد عبد الفتاح ابراهيم يتلخص فيما يأتى :

ادعت امرأة إرضاعها لبنت عمها ، وهى أخت زوجها ، رضعات كثيرة على أحد أولادها المرزوقة بهم منه ، ثم رزقت بمولود آخر لم ترضع عليه ، ثم إن الرضيعة رزقت بابنة لها ، فأراد المولود الثانى من المرأة المدعية الارضاع التزوج بهذه البنت ـ الى أن قال المستفتى : ولا عدل هنا بهذه الدعوى لعدم توفر أسباب العدالة المعروفة لنا ، وتقر بذلك هذه المدعية ... وقد خالفت قولها أنثى أخرى تثبت إرضاع وتربية هذه البنت لمدة ثلاثة أعوام ، وأنها هى المربية لها والمرضعة الوحيدة لها المدة المذكورة ، وأنكرت دعوى المدعية الأولى وقولها .

وطلب المستفتى بيان الحكم فى هذه المسألة على المذاهب الأربعة .

الجواب :

أن الرضاع لا يثبت عند الأئمة مالك والشافعى وأبى حنيفة بقول امرأة واحدة ولو توافرت فيها شروط العدالة ، وكذلك فى إحدى الروايات عن الامام أحمد بن حنبل .

وفى رواية ثانية عن الامام أحمد أن الرضاع يثبت بقول امرأة واحدة إذا كانت مرضية ؛ وبما أن المرأة التى فى الاستفتاء ليست مرضية بل صرح فيه بأن العدالة ليست متحققة فيها ، فعلى هذه الرواية أيضا لا يكون الرضاع محرما عند الامام احمد .

وفى مذهب الامام أحمد رواية ثالثة أن الرضاع يثبت بقول امرأة واحدة وتستحلف ، ولكن هذه الرواية ضعيفة فلا تعويل عليها .

وبناء على ما تقدم : تفتى اللجنة بأن الرضاع المذكور فى السؤال لم يثبت شرعا ، ولا بأس بأن يتزوج الابن المشار اليه فى الاستفتاء بالبنت المشار اليها كذلك . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

حياة رجالات الإسلام

أبو بكر الصديق

— ٩ —

امتحان الإيمان

أرهب ساعة فى تاريخ الاسلام ، بل فى تاريخ الوجود ، ساعة أظلم فيها الكون ، وأسدل على الحياة رداء من الحزن الباخع ؛ تلك هى الساعة التى ودع فيها المصطفى سيد الوجود صلوات الله عليه هذه الحياة الى الرفيق الأعلى ، فانقطع لموته مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبله ، فطاشت من هول الخطب العقول ، وخرست الألسن ، وصمت الآذان ، وغارت الأبصار ، واختلجت البصائر ، وانحلت القوى ، وذر قرن الشر ، وانقطع وارد الخير ، ومنع خبر السماء ، وأظلمت الدنيا فى وجوه المؤمنين ، واشرأبت أعناق المنافقين ؛ روى أبو عبد الله القرطبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء ، وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وسلم الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا » .

ياهول الحدث الجلل ! روح الحياة يفارق الحياة ؟ ثم يحيا الناس من بعده ؟ ! أى حياة هذه التى يحيونها ؟ إنها حياة العصب والدم واللحم ، وارحمتا للمؤمنين ، فقدوا النور والخير والبر والرحمة ، ونزحت من بين أيديهم منابع العرفان والهداية ، وانقطعت صلة السماء بالأرض ، ولم يعد لجبريل الأمين موطئ بينهم ! روى ابن سعد فى الطبقات : أن ملك الموت استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه جبريل الأمين ، فقال جبريل : « يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك » ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فامض ياملك الموت لما أمرت به » ! قال جبريل : « السلام عليك يارسول الله ، هذا آخر موطئى من الأرض ، إنما كنت حاجتى من الدنيا » !

أجل ، كان امتحانا مريرا ، فوجئ به المؤمنون فسلّ أرواحهم من أبدانهم ، وخلع قلوبهم من صدورهم ، وأضفى عليهم الذهول والحيرة ، حتى أخذ عمر بن الخطاب بقائم سيفه وقال : « لا أسمع أحدا يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ضربته بسيفى هذا ، والله مامات رسول الله ، وإنما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه الصلاة والسلام ، فلبث عن

قومه أربعين ليلة ! والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم ! » فلم يقدر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد على عمر رضى الله عنه ، وذهبت بهم الحيرة كل مذهب ؛ فمن لهم بمن يكشف عنهم هذا الكرب الفادح ، ويحمل معهم هذا العبء القاتل ؟ أين صاحب رسول الله ؟ أين الصديق ؟ أين عيلم المؤمنين ؟ أين أرسخ الناس إيمانا ؟ إنهم أحوج ما يكونون اليه فى هذه الساعة المدلهمة ؛ وكان أبو بكر رضى الله عنه قد رأى من النبي صلى الله عليه وسلم نشاطا فاستأذنه ليذهب الى أهله بالسُّنح من عوالى المدينة فأذن له ؛ وهذا فى نظرنا يحمل فى باطنه سرا من أسرار الصديقية كان بتدبير الله الحكيم ، فما كان الصديق الحبيب ليطيق أن يشهد ما شهد الذين وَصَبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشدة ، وما كان ليستطيع أن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة الوداع الأبدية ، وهو مذخور للمؤمنين يحمل عنهم ما يرزؤهم من فادح الخطب ، وكارث الأفداح ، فغيبه الله تعالى فى تلك الساعة ليستجم فى صدره الإيمان حتى يلقى عاطفة حب شخص النبي صلى الله عليه وسلم بجلائل العقل وجلال الايمان ، ويرد على المؤمنين ما فقدوا من روحانيتهم ؛ قال ابن المنير : « لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول ، فمنهم من خبل ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى ، وكان عمر ممن خبل ، وكان عثمان ممن أخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما ، وكان علىّ ممن أقعد فلم يستطع حراكا ، وأضنى عبد المطلب بن أنيس فمات كمدا ، وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، جاء وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه ، وقال : « طبت حيا وميتا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء ، فعظمت عن الصفة ، وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس » !

ثم خرج الصديق الى المسجد ليعيد للمؤمنين بعض شعورهم حتى لا يشغلهم فادح الخطب عن مدلهمات الأمور ، فوجد عمر بن الخطاب أجزع الناس وهو يتكلم حتى أزبد شدقاه ، يحلف أن رسول الله لم يمت ، فقال الصديق الأعظم : « على رِسْلك أيها الحالف » ! فسكت عمر ، وتكلم أبو بكر فقال : « ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » ثم تلا قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين » ، فتلقاها الناس من أبى بكر حين تلاها ، حتى قال قائلهم : والله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر ؛ قال سعيد بن المسيب : إن عمر بن الخطاب قال : « والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت وأنا قائم حتى خررت على الأرض ، وأيقنت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات » .

الله أكبر ! أى رجل فى بردى الصديق ؟ وأى إيمان بين جنبيه ؟ إن القلم ليعجز عن القول، وإلا فما عساه أن يقول ؟ الصديق رفيق الغار، وبكر الاسلام، وأحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعرفهم بقدره، وأصدقهم فى حبه، ورسول الله ملء قلبه وسمعه وبصره، ونور روحه، أترى هؤلاء الذين أصيبوا بما أصيبوا فى صادق حزنهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبلغون معشار ما كان ينطوى عليه قلب الصديق من الحزن على فراق الحبيب ؟ ولكنه امتحان الإيمان يجوزه الصديق ليسمو الى قيادة الأمة تثبيتا لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال الامام أبو عبد الله القرطبى عند تفسير آية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » : هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجرءة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبى صلى الله عليه وسلم، فظهرت عنده شجاعته وعلمه، قال الناس : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علىّ، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية .

ثبّت الله المؤمنين براسخ إيمان الصديق، وسما بهم الى روحانية أكمل، وإيمان أقوى، لأنه إيمان لفتهم الى مهمتهم، والى سر إيمانهم بهذا الحب الغامر الذى انطوت عليه جوانحهم للنبى الأكرم صلوات الله عليه، حتى أصابهم ما أصابهم من هول صدمتهم بمفارقة شخصه فى هذه الحياة ؛ إيمان لفتهم الى هذه الرسالة العظمى التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتى من أجلها حاربوا العدو والصديق، وضحوا بالنفس والنفيس، وفارقوا الأهل والوطن ؛ هذه الرسالة التى نزلت رحمة للانسانية فى جميع أقطار الأرض، ولكنها لم تبلغ فى التبليغ مداها الذى قدر لها، فمن يقوم على أدائها بعد حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أصحابه وتلاميذه الأعلام ؟ وهل كان الايمان بالرسالة المحمدية فى عمومها وختمها للنبوات حبيسا على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هذا تساؤل يمليه واقع الحال، ويجيب عنه الصديق الأعظم بتلك الكلمة الخالدة القوية الباهرة القاهرة « ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » . فعادت الى المؤمنين سكينتهم، وبكوا رسولهم بكاء أعز الأحباب، ولكنهم تمثلوا رسالته وأمانة تبليغها ؛ وهنا يتجلى للمسلمين موقف يعجز القلم عن تصويره فى قوة الإيمان ورسوخ العقيدة .

ذلك أنهم ما كادوا يرون هدوء الصديق الأعظم وقوة يقينه وثباته وتذكيرهم بقانون الله تعالى فى بشرية محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلمون أن الله قد اختار لصفيه ما عنده من تجليات القرب على ما عندهم، حتى وثبوا الى مجالس الشورى، والنبى صلى الله عليه وسلم مسجى جسده الشريف فى بيته، ليقيموا للمسلمين إماما يقودهم ويسوس أمورهم حتى يبلغوا رسالة

نبيهم صلوات الله عليه ؛ فالأنصار وهم عيبة النبي وكرشه الذين أيدوه ونصروه بأرواحهم رأوا أنهم أحقاء بهـذا الأمر ، والمهاجرون الأولون رأوا أنهم السابقون الذين حضنوا الإسلام في مهده ، فهم أحق بأن يأخذوا بزمام الأمر ، وكادت الفتنة تعود جزعة ، وكاد الاضطراب يتفاقم في أمر أخطر وأعظم ، ولـكن الله تعالى الرحيم بهـذه الأمة ادخر لها صديق نبيها لينقذها من مآزقها ، فـكما ثبتها في خطب إصابتها بنبيها فليثبتها في توجيه حياتها لأداء مهمتها العظمى .

خرّج البخاري في الصحيح من حديث طويل : « اجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا أمير ، ومنكم أمير ، فذهب اليهم أبو بكر الصديق ، وعمر ابن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر ، فتكلم أبلغ الناس » . وفي رواية ابن عباس قال عمر رضي الله تعالى عنه : « ما ترك أبو بكر كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت » ، فقال أبو بكر في ضمن خطبته : « نحن الأمراء وأنتم الوزراء » ، فقال حباب بن المنذر : « لا ، والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير » ، فقال أبو بكر : « لا ، ولـكنا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب دارا ، وأعربهم أحسابا ، فبايعوا عمر أو أبا عبيـدة ، فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا ، وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخـذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس » . قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها : لقد خوّف عمر الناس ، وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك ، ثم لقد بصّر أبو بكر الناس الهدى ، وعرّفهم الحق الذي عليهم » .

في هذه الأحاديث آيات بينات على عظمة الصديق الاسلامية وعبقريته الايمانية ؛ فهو الذي أنقذ الأجلاء : عمر وعثمان وعليا وغيرهم ، من هول ما أصابهم في الحادث الفادح ؛ وهو الذي أنقذ الأمة كلها من شر فتنة ، لولا بركته وقوة إيمانه وبراعته الخطابية والسياسية ، وعلمه وجلاله ، لـكانت عليها شرا مستطيرا ؛ وهو الذي علـم الناس كيف يسمو الإيمان فوق كل شيء ، وكيف يسحق الإيمان كل شيء ، وكيف يتغلب الايمان على كل شيء . فما أحوج المسلمين اليـوم الى نفحة من نفحات الإيمان الصديقي حتى تستقيم قناتهم في توجيه الحياة الاسلامية وجهة العزة والـكرامة ! ؟

صادق ابراهيم عرجون

التصوف والمتصوفون

— ٧ —

عمر السهروردى

حياته :

ولد أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى فى سهرورد فى سنة ٥٣٩ هـ وهو ابن شقيق أبى نجيب السهروردى السالف الذكر ، ولما نشأ تتلمذ على عمه وعلى الشيخ عبد القادر الجيلى ، وبعد أن أتم معارفه عين شيخ الشيوخ فى بغداد ، وأخيرا توفى فى سنة ٦٣٢ هـ بعد حياة طويلة حافلة بالعلم والعمل .

كان السهروردى من طراز أبى حامد الغزالى فى حملته على الفلسفة الإغريقية ومناصرة الشريعة الاسلامية عليها ، ولهذا كان من فصيلة عمه .

أما مؤلفاته فمن أهمها كتاب « كشف الفضائح اليونانية » ، وليس فيه حاجة الى التعليق ، فعنوانه يوضح ما فيه ، وكتاب « عوارف المعارف » وهو من المصادر الهامة لآراء مؤلفه وللأخلاق التنسكية الخاصة بطوائف الصوفية .

آراؤه :

للقوى الإنسانية عند السهروردى ثلاث درجات : علياها الروح ، وهى متجهة الى العالم اللامحس ، ودنياها النفس ، وهى متجهة الى العالم المحس ، وبينهما القلب وهو صالح للاتجاهين الأعلى والأدنى . فقبل أن يتم نوره يكون اتجاهه موزعا بين القوتين : العليا والدنيا ، ولكنه عند ما تتم إنارته يتجه بكليته الى الروح فيتصل بالعالم الروحانى ، وفى هذه الحالة تنجذب النفس الى القلب ، وعلامة اتجاه النفس الى القلب هى إحساسها بالهدوء .

كما أبان السهروردى درجات القوى الإنسانية ، شرح كذلك الفرق بين الحال والمقام فى التصوف فقال : إن الشيوخ لم يتفقوا فى هذه المسألة على رأى قاطع ، لأن ما هو حال عند البعض قد يكون مقاما عند البعض الآخر ، ولكن أوضح الفروق بين الحال والمقام هو أن الحال متغيرة والمقام ثابت ، وأن الحال إذا ارتقت صارت مقاما ، وأن الحال موهوبة ، والمقام مكتسب بمجهود الفرد .

وقد ذكر السهروردى عددا من الأحوال والمقامات . فمن الأحوال : الحب والشوق ، والأنس والإجلال ، والانقباض والانبساط ، والقرب والبعد ، والاجتماع والانفصال ، والبقاء والفناء .

ومن المقامات : الزهد والصبر ، والخوف والرجاء ، والتوكل والتواضع .

وأهم ما أثر عن هـذا الصوفى بعـد الذى أسلفناه هو آراؤه الأخلاقية التى تمثل الصوفى الحقيقى أصـدق تمثيل ، والتى هى الى الديانتين : البوذية والمسيحية أقرب منها الى الاسلام . فمن ذلك مثلا أنه كان يجل التواضع الى حد المهانة التى حمل عليها الاسلام فى عنف ، وكان يغالى فى الرحمة والصفح عن مهينه الى حـد التمثل بقول التعاليم المسيحية : « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » . وكان يدعو كذلك الى احتمال كل ما يجىء من الآخرين . ومما أثر عنه قوله : « لو أحب الناس بعضهم بعضا وقدروا ما فى الاحسان من خير لاستغنوا عن العدالة ، إذ العدالة أدنى مرتبة من الرحمة ، ولا تستعمل الأولى إلا عند غيبة الثانيـة ، وإن من ينفذ أوامر الرحمة أسمى ممن ينفذ أوامر القانون ، لأن إطاعة القانون خارجية ، أما إطاعة الرحمة فهى داخلية » .

يحيى السهروردى — حياته :

هو شهاب الدين يحيى السهروردى ، ولا يعرف التاريخ الصحيح شيئا عن مولده وطفولته ، وإنما هو يقدمه إلينا شابا مشردا بين بغداد وأصبهان وحلب ، ثم ينبئنا هذا التاريخ بأنه بينما كان السهروردى يطوف هذه البلاد الاسلامية ناشرا مذهبه ، بلغ أمره صلاح الدين ونقل اليه أنه ضال مضل يبدل فى دين الله ما شاء له هواه ، فبعث اليه ابنه أن يقتله ففعل . وكانت وفاته فى سنة ٥٨٧ هـ وكان عمره إذ ذاك ثمانية وثلاثين عاما . وقد جعل ذلك المؤرخين يستنتجون أنه ولد حوالى سنة ٥٤٩ هـ ولا يزال قبره يزار الى الآن ، وتسميه الجماهير بالشيخ المقتول .

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فأهمها كتاب « حـكمة الاشراق » وكتاب « هياكل الأنوار » وكتاب « التلويحات » ، والـكتابان الأول والثانى من هذه الـكتب يعتبران أهم مؤلفاته ، لأن آراءه النظرية قد ظهرت فيهما بوضوح يجعلنا نلمس أنه متأثر فى مذهبه بحلولية الأفلاطونية الحديثة التى ظهر أثرها من قبل فى الحلاج ومن هم على شاكلته . وقد حلل الأستاذ « كارادى فو » هذين الـكتابين ، فقال ما ملخصه :

إن الفـكرة الأولى التى تلهمنا إياها مطالعة هـذين الـكتابين هى أن الفلسفة ولا سيما التنسكية منها قد انبثقت من إلهام هو موجود منذ بدء العالم ، أى أن جميع حكماء العصور القـديمة والحديثة مصريين كانوا أو هنوداً أو إغريقيين أو فارسيين أو عبرانيين قـد بشروا جميعا تحت صور مختلفة بمذهب هو واحد فى أعماقه ، وأنهم لم يعرفوا هذا المذهب عن طريق

النظر العقلي معرفة أساسية ، وإنما عرفوه عن طريق المشاهدة التنسكية والكشف الفوق الطبيعي .

أما الفكرة الثانية التي تخطر لقارىء هذين الكتابين ، فهي أنه وجد أيضا في جميع العصور الانسانية أفراد ذوو معارف بالأسرار ومواهب لاكتشافها ، وأن رئيس أولئك الأفراد في كل عصر يدعى بالإمام أو بقطب الوقت . أما الآخرون فهم أعوانه ، وهم يحملون أسماء مختلفة . وهذا القطب يجب أن يكون أعظم الحكماء المتنسكين في عصره . وإذا تتبعنا تعاليم هؤلاء الأقطاب في جميع العصور كما ينبغي ، ألفيناها كلها متفقة في نقطها الأساسية .
وعند السهروردي أن هذا القطب يجب أن يكون إمام الإنسانية ورئيس العالم كله .

مذهبه :

على الرغم من الاختلاف في الأسلوب والتعبيرات ، يلاحظ الباحث أن مذهب السهروردي هو لا يخرج عن كونه نسيجا محكما على منوال مدرسة ابن سينا الاشراقية المتأثرة بالأفلاطونية الحديثة .

ينقسم العالم عند السهروردي الى قسمين : عالم النور ، وعالم الظلام . فالأول هو العالم الروحاني الأعلى المنير ، وعلى رأسه الإله الذي يدعوه بنور النور . ويلي هذا الإله في المكانة عقول الكواكب ، وهو يسميها الأنوار القاهرة أو الحاكمة أو السائدة . وتليها العقول الأخرى ويسميها الأنوار فقط .

والثاني هو عالم المادة والوضاعة والرداءة ، وأشخاص هذا العالم تدعى عنده بالأوثان أو بالبرازخ .

وكيفية صدور الموجودات عن الإله هي أنه قد انبثق إشراق واحد من نور النور ، وهذا الاشراق الأول ، أو النور الحاكم الصادر عن الإله هو عين ما كان ابن سينا يدعوه بالمعلول الأول . وهذا النور على أثر صدوره ينظر الى باريه والى ذاته فيجد نفسه مظلما بالنسبة الى الإله . ومن هذا ينشأ البرزخ الأول ، وهو ماكان ابن سينا يسميه بجسم الفلك الأول أو الفلك المحيط . وعلى هذا النظام تصدر الأنوار والبرازخ الأخرى . وهذه البرازخ تتحرك بتأثير الأنوار حركة تجعل الأنوار قاهرة والبرازخ مقهورة . وهكذا يظل النور ينتشر نازلا حتى يعم عالمنا على نفس النهج الذي رأيناه في العالم الأعلى ، أي أن كل عقل إنساني يمثل في برزخه العقول العليا في برازخها .

لم يسلك السهروردي الأنهاج الفلسفية فيما يتعلق بنشأة الكون فحسب ، وإنما سلكها أيضا في مشكلة هي أخص من مشكلة الصدور العام ، وهي مشكلة « الرياليسم » و« النومينا ليسم »

أى الحقيقية والاسمية (١) فقرر أنه لا يؤيد فكرة المثالية المطلقة ، ولا يرى أن للانسانية أو للحيوانية نموذجا ذا وجود ذاتى ، كما قرر أصحاب هذا المذهب ، لأن الفكرة العامة لا يمكن أن توجد إلا فى العقل ، إذ لو فرض وجودها فى الأفراد لفقدت عموميتها ، ولكن ليس معنى هذا أنه لا يوجد غير هذه الفكر العامة ، كلا ، بل إن هناك شيئا حقيقيا آخر أسمى من الكائنات المادية وأثبت من الفكر المجردة ، إذ كيف يعقل أن الكليات العامة التى هى أرفع من الأشخاص المحسة تنتزع منها ؟ وكيف يصدر الأعلى عن الأدنى ؟ وكيف يصدر النموذج المثالى من الوثن الوضيع الذى لم يصنع إلا على صورته ؟ وإذاً ، فهناك مبدأ هو الذى يسود أشخاصها ويحددها ، وهذا المبدأ هو نور ، وهذا النور القاهر الذى يثوى فى عالم النور النقى له استعدادات خاصة وصور معينة . وهذه الصور هى صور الحب والسرور والسيادة . وحينما يقع ظل هذا النور على عالمنا تنتج منه أشخاص نوعه المرئية ، أو أوثانه التى تصير على أثر ذلك أناسى أو حيوانات أو معادن أو طعوما أو روائح . وهذه الصيرورة تقع تبعا للاستعدادات الخفية التى تمد مواد هذه الكائنات لتقبل صور هذا النور . وعلى أثر ذلك توجد الفكر العامة فى العقول .

من هذا يتضح أن السهروردى متأثر طورا بالأفلاطونية الحديثة ، وآخر بالفلسفة الفارسية التى تقسم الكون كله الى نور وظلام ، وتخضع الثانى للأول ، وتجعله قاهراً له سائدا عليه .

يتبع الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(١) أبنا فى أكثر من موضع من الفلسفة الأغريقية أن هناك ثلاثة مذاهب : المذهب الأول مذهب « النومينااليسم » أو الاسمية ، وهو مذهب السوفسطائيين . والثانى مذهب « الرياليسم » أو الحقيقية ، وهو مذهب أفلاطون . والثالث مذهب « الكونسيبتواليسم » أو المفهومية ، وهو مذهب أرسطو . وشرحنا معنى كل واحد منها ، وذكرنا أن متكلمى الاسلام قد هووا الى مذهب الاسمية من حيث لا يقصدون .

التجديد والمجددون فى الاسلام

الامام الأعظم أبو حنيفة — دراسات فى مذهبه

مسائل المذهب الحنفى ورواياته وكتبه :

اتفقت كلمة المتقدمين والمتأخرين من أئمة مذهب أبى حنيفة على أن مسائل المذهب الحنفى على مراتب :

المرتبة الأولى : مسائل الأصول ، وهى ظاهر الرواية ، وظاهر المذهب ، وهى التى اشتملت عليها تآليف محمد بن الحسن : من الجامع الصغير والجامع الكبير ، والسير الصغير والسير الكبير ، والزيادات ، والمبسوط ؛ وهذه المسائل هى التى أسندها محمد بن الحسن عن أبى يوسف عن أبى حنيفة ؛ وصنف محمد هذه الكتب فى بغداد ثم تواترت عنه أو اشتهرت برواية جمع كثير من أصحابه بلغ عددهم من الكثرة مبلغا لا يجوّز العقل تواطؤهم على الكذب والخطأ ؛ وللمبسوط هذا نسخ أظهرها وأصحها وأشهرها نسخة أبى سليمان الجوزجانى ، ويقال لها الأصل . وقد شرحها جماعة من كبار العلماء . وكتاب الكافى للحاكم الشهيد المروزى مجموع كلام محمد بن الحسن فى الأصول وفى حكمها ، وقد شرحه كثير من الفقهاء الحنفية .

والمرتبة الثانية : مسائل النوادر ، وهى غير ظاهر الرواية ، لأنها لم تظهر كما ظهرت الأولى ، ولم تروإلا بطريق آحاد بين صحيح وضعيف ، كالرّقّيات والكيسانيات والجرجانيات والهارونيات من تصانيف محمد التى رواها عنه الآحاد ولم تبلغ حد التواتر والشهرة عنه . والرقيات صنفها حين نزل الرقة قاضيا عليها ، والكيسانيات رواها عنه شعيب بن سليمان الكيسانى ، والجرجانيات رواها عنه على بن صالح الجرجانى من أصحابه . ومن ذلك الأمالى والجوامع لأبى يوسف ، وكتاب المجرد للحسن بن زياد ؛ ومنها الروايات المتفرقة كنوادر محمد بن سماعة ، ونوادر ابراهيم بن رستم المروزى ، ونوادر هشام بن عبيد الله الرازى وغيرهم . وأما المختصرات التى صنفها حذاق الأئمة كالامام أبى جعفر الطحاوى ، وأبى الحسن الكرخى ، والحاكم الشهيد ، وأبى الحسين القدورى فهى موضوعة لضبط أقوال صاحب المذهب وجمع فتاويه المروية عنه ، فسائلها ملحقة بمسائل الأصول وظواهر الروايات فى صحتها ، وثقة رواتها ؛ ويثبت ما فيها عند أصحابها بين متواتر ومشهور ، أو آحاد صحيحة الإسناد وتواترت عنهم وتلقاها علماء المذهب بالقبول منهم .

والمرتبة الثالثة : الفتاوى وتسمى الواقعات ، وهى مسائل استنبطها المتاخرون من أصحاب محمد وأبى يوسف وزفر والحسن بن زياد وأصحابهم وهلم جرا ، مثل كتاب النوازل لأبى الليث السمرقندى المعروف بامام الهدى ، جمع فيه فتاوى مشايخه ومشايخ مشايخه . ومجموع النوازل

والحوادث والواقعات لأحمد بن موسى بن عيسى ، والواقعات لأبى العباس أحمد بن محمد الرازى الناطفى ، والواقعات للصدر الشهيد ؛ ثم جمع من بعدهم فتاوى هؤلاء مختلطة غير ممتازة : كقاضيخان فى فتاويه ، وصاحب المحيط البرهانى ، وخلاصة الفتاوى ، والسراجية وغيرها ؛ ولقد أحسن رضى الدين السرخسى ، فانه بدأ فى كتابه المحيط بمسائل الأصول ، ثم بمسائل النوادر ، ثم بمسائل الفتاوى ؛ ومن ذلك اشتهر أن المتون كالنصوص ، وأنها مقدمة على ما فى الشروح ، وما فيها على ما فى الفتاوى ، لأن ما يورد فى الشروح من المسائل لاستئناس ما فى المتون من الأصول وكشف حاله غالبا ، فله اعتضاد ما بالأصول ؛ ثم ما فى الفتاوى فانه مخلوط بآراء المتأخرين ؛ ودون تلك النوادر رتبة إذ هى فى نفسها ليس جميعها من أقوال صاحب المذهب ، وليس لها إسناد يرفعها الى صاحب المقالة ، وليس أصحابها فى متانة الأصحاب الثلاثة ، بل إنما جمعها أشخاص من المتفقهين لم يعرف حالهم غالبا فى الرواية ، فلا يعمل بها إلا بشرط مساعدة الأدلة ومعاضدة القواعد الأصولية .

وأما الروايات الغريبة التى ينفرد بنقلها آحاد المصنفين من أهل القرون المتأخرة فلا يعتمد عليها ، ولا يعتد بصاحبها ، ولا سيما فيما خالف الأصول وباين المعقول والمنقول ؛ فإذا اضطر المسلم الحنفى الى التقليد فليأخذ بما فى الأصول ، ثم بما فى المتون المختصرات : كمختصر الطحاوى والكرخى والحاكم الشهيد والقدورى ، وهى التى أولع بها العلماء حفظا ورواية ، ودرسا وشرحا وتعليقا . فقد شرح مختصر الطحاوى أبو الحسن الكرخى وأبو بكر الرازى الجصاص ، وخلق كثير من الأئمة ؛ وشرح مختصر الكرخى أبو بكر الرازى ، وأبو الحسين القدورى ، وأبو الفضل الكرمانى ، وآخرون ؛ وشرح مختصر الحاكم الشهيد : اسماعيل الأنبارى ، وأحمد بن منصور الأسبيجابى ، وشمس الأئمة السرخى وجماعة كثيرون .

وأما مختصر القدورى فهو متن متين ، متداول بين الأئمة الأعيان ، وهو مراد صاحب الهداية وغيره حيث أطلقوا المختصر أو الكتاب ؛ وقد شرحه أبو نصر الأقطع ، ومحمد ابن ابراهيم الرازى ، وأبو المعالى الغزنوى ، وخلق لا يحصون ، وليس المراد من المتون إلا مختصرات هؤلاء العلماء .

وقال بعض الباحثين : إن المختصرات التى جمعها المتأخرون كالوقاية والكنز والنقاية وغيرها ، فإن أصحابها وإن كانوا علماء صالحين فليسوا بهذه المثابة من الثقة والفقاهة ، مع خلو كلامهم عن الحجة والاسناد ، وعدم سلامته عن نوع تغيير وخلط وتصرف ، وإنما يعمل بما فيها مما قد صح فى المذهب اعتمادا على الشهرة أو ظهور الصحة ، أو ابتناء على اعتضاد الأصول ، وتطابق الأدلة ؛ فكتب الغرر والملتقى والتنوير بل والوقاية والكنز وأمثالها مشحونة بآراء المتأخرين ؛ وهى وإن تنزلت رتبتها عن ظاهر الرواية باعتبار عدم اشتهار إسنادها ، إلا أن غالبها قد صحت به الرواية ، فلذلك ربما اختارها كثير من العلماء المتأخرين على ظاهر الرواية ؛

ألا ترى صاحب تحفة الفقهاء قد اختار رواية النوادر على الظاهر ، وصححها فى هلال الأضحى حيث قال : والصحيح أنه تقبل فيه شهادة الواحد ؟ وكذلك فى ظاهر الرواية لا يجب تقليد التابعى مطلقا ، وفى رواية النوادر يجب تقليده إذا ظهرت فتاويه فى زمن الصحابة ، واعتبره فخر الإسلام ، وتابعه بعضهم وجعله هو الأصح ؛ ومثل ذلك وقع عن صاحب الهداية وغيره فى مسائل ؛ ثم يأخذ بالأصح والأثبت من الواقعات والفتاوى .

ومن هنا يظهر أن الصحيح نوعان : صحيح دراية ، وهو الذى نهض دليله وظهرت حجته وتعليله ؛ وصحيح رواية لثبوته عن القائل به مثل أبى حنيفة أو أبى يوسف أو محمد أو غيرهم بطريق صحيح : إما برفع إسناده بنقل الثقة عن الثقة سالما عن القادح والعلة ؛ وإما بوجوده فى كتاب معتمد معروف قد عرف صاحبه بالعدالة والثقة فى الرواية ، ككتب محمد بن الحسن وما قد سبق ذكره من المتون ، حتى قال كثير من المحققين : إن المتأخرين قد اعتمدوا على المتون الثلاثة : الوقاية والكنز ومختصر القدورى ؛ ومنهم من اعتمد على أربعة : الوقاية والكنز والمختار ومجمع البحرين ، وقالوا : العبرة لما فيها عند تعارض ما فيها وما فى غيرها لما عرفوا من جلالة قدر مؤلفيها والتزامهم إيراد مسائل ظاهر الرواية والمسائل التى اعتمد عليها المشايخ ، فينبغى للمفتى أو لمن يريد العمل لنفسه أن يجتهد فى الرجوع الى الكتب المعتمدة ولا يعتمد على كل كتاب ما لم يعلم حال مؤلفه . وعدم اعتبار المؤلف يكون لوجوه : منها إعراض أجلة العلماء وأئمة الفقهاء عنه . ومنها عدم الاطلاع على حال مؤلفه هل كان فقيها معتمدا أم كان جامعا بين الغث والسمين ، وإن عرف اسمه واشتهر رسمه : كجامع الرموز للقهستانى ، فإنه وإن تداوله الناس لكنه لما لم يعرف حاله أنزل عن درجة الكتب المعتمدة . ومنها أن يكون مؤلفه قد جمع فيه الروايات الضعيفة والمسائل الشاذة من الكتب غير المعتبرة وإن كان هو فى نفسه فقيها جليلا : « كالقنْية » فإن مؤلفها الزاهدى كان من كبار الأئمة وأعيان الفقهاء ، ولكن العلماء لم يعتمدوا هذا الكتاب لأن الزاهدى كان متساهلا فى نقل الروايات .

أما كتب المذهب التى عليها المعول فهى كثيرة ، وأفضلها كلها كتب الامام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . وعلى الجملة فليس تفاوت المصنفات فى الدرجات إلا بحسب تفاوت درجات مؤلفيها أو تفاوت ما فيها لا بحسب التأخر الزمانى أو التقدم الزمانى ، فليس كل تصنيف لمتأخر أدنى من تصنيف لمتقدم ، بل قد يكون تصنيف المتأخر أعلى درجة من تصنيف المتقدم بحسب تفوقه عليه فى الصفات الجليلة . وقد قال خير الدين الرملى :

قلْ لمن لم يَرَ المعاصرَ شيئا ويرى للأوائل التقديما
إنّ ذاك القديم كان حديثا وسيبقى هذا الحديث قديما

السيد عفيفى

رمضان

رمضان هو شهر الصيام ، والصيام شعيرة دينية ، تعبّد الله بها الأمم ، لمكانها من تهذيب النفوس ، وتطهير الأجسام ، وتصفية الأرواح ، ولأنها داعية التعاطف ، ورابطة التواصل ، بين الأغنياء والفقراء . فشعور الأغنياء بالجوع فى رمضان مشعر بحال الفقراء ، داع الى الإحسان اليهم والعطف عليهم .

والصيام إذلال للنفس ، وكبح من شِرَّة كبريائها وبطرها ، ثم هو تعويد على الأمانة ، وللأمانة أثرها فى علاقات الأفراد والجماعات .

وما أحسن ما يقول شوقى فى حكمة الصيام :

« الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ؛ لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ؛ يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ؛ يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه إذا لذع » .

وقد يكون ما يعانيه المريض والمسافر من مشقة وتعب ، وما يقاسيانه من هم ونصب ، وما فى ذلك من تهذيب وتأديب يغنيان عن تهذيب الصوم وتأديبه ، داعيةَ الترخص فى فطرهما .

والصيام تتفاوت مراتبه ، ويتفاوت ثوابه ، تبعا لتفاوت الكمال فى أدائه ؛ فصيام ليس لصائمه منه إلا الجوع والعطش ، وفى ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » ؛ وصيام لصائمه منه جزيل الأجر ، وواسع المغفرة ، وفى ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له » .

وقد قسم الغزالى الصوم تقسيما دقيقا فيه نزعة صوفية تجعله غريبا بعض الغرابة على من لم يسلك طريقه ، ومن لم يذق مذاقه ؛ قال رحمه الله :

« اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ؛ وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان ، واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام ؛ وأما صوم خصوص الخصوص : فهو صوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ، والفكر فى الدنيا ، إلا دنيا تراد للدين ، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا ... وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ، ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ، ولكن فى تحقيقها عملا ، فأنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل ، وانصراف عن غير الله سبحانه ، وتلبس بمعنى قول الله عز وجل : « قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » .

وفى الصوم بمجموع درجاته معان اجتماعية أشرنا الى بعضها آنفا ؛ وقد قرن بأعمال مسنونة أو مندوبة تحمل فى طياتها معانى اجتماعية كذلك ، فيها الخير والصلاح لجماعات المسلمين ؛ فقد ندب فيه الإكثار من الجود والتصدق ، حتى إن النبى صلى الله عليه وسلم — وإن كان أجود الناس — كان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

وشدد فيه النهى عن التسافه والتشاتم ، وندب للصائم أن يقول عند دواعى الغضب والاستفزاز : اللهم إنى صائم . وسن فى رمضان صلاة التراويح ، وسنت فيها الجماعة ، كما سنت الجماعة فى وتره خاصة ، تكراراً لاجتماعات المسلمين المشروعة ، وتحصيلا لما فيها من ثمرات .

ومن طريف ما يقال فى هذا الصدد : أن المسافر خُيِّر بين الصيام والفطر ، إلا أن يكون عامة رفقته مفطرين أو مشتركين فى النفقة ، فالأولى له الفطر موافقة للجماعة .

وختم الصوم بصدقة الفطر على طريق الوجوب ، كما ختم بصلاة العيد ، وشرط فيها الجماعة ؛ وندب فى يوم العيد الإكثار من الصدقات ، حتى لقد صح أن يقال . إن رمضان شهر البر ، وشهر الفقراء .

تلك هى بعض المعانى الاجتماعية فى الصيام ، وفيما سن أو ندب فيه ؛ غير أن كثيرا من المسلمين غفلوا عنها ، فأضاعوا سر الصوم وروحه ، وأحالوه الى عبادة لا روح فيها ، حتى وصفها بعض الخارجين على الدين أنها عذاب لا خير فيه ، ولا ثمرة له . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا . فالله أعلم بمصالح عباده ، وبما هم فى حاجة اليه من شرائع يسيرون على نور هديها فى طريق الحياة ، الى السعادة التى أعدها الله للراشدين .

وإلى هؤلاء نقول : أرأيتم لو جاءكم صيام رمضان فيما جاءتكم به المدنيات الحديثة ، فماذا كنتم تقولون فيه ؟ أكبر الظن أنكم كنتم تقولون إنه من الحكمة التى اهتدى إليها علماء الطب وعلماء النفس فى القرن العشرين ، وإنه الأمر الذى لابد منه فى صلاح الجماعات ، وكبح الشهوات ، وكنتم تنسبون إليه من المحامد ما تنكرون فضله وتجحدون قدره .

ورحم الله البوصيرى حيث يقول :

رب إن الهدى هداك ، وآيا تك نور تهدى بها من تشاء
وإذا حلّت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الأعضاء

نسأل الله أن يفتح قلوبنا لفهم الدين ، ويوفقنا للعمل بهدى خاتم المرسلين ؛ وأن يجعل صيامنا جُنة من العذاب الأليم . كما نسأله وهو القاهر فوق عباده أن يكشف عن عباده الغم والكرب ، ويمنحهم السلم والسلامة ؟

أبو الوفا المراغى

مقارنة ومفاضلة

بين الشريعة الاسلامية والشرائع الأخرى

— ٤ —

تكلمت فى المقال السابق عن شريعة الرومان وكيف كان نظامهم الاقتصادي والسياسى والقانونى ، وفاتنى أن أذكر نبذة عن التشريع عندهم وعند غيرهم ، وهو شديد الأهمية فى بحثنا هذا .

فالتشريع بصفة عامة : هو عمل القوانين بواسطة السلطة التشريعية فى الحكومات ، وهو يبين نص القانون بحروفه بحيث لا يكون هناك شك فى الألفاظ التى عبر بها المشرع عن غرضه . والقانون : هو قاعدة يكون السير على مقتضاها فى العمل بحيث يجبر السلطان الناس على اتباعها فيما بينهم ، ويعاقب من يخالفها ، وهو نظام ضرورى للحياة الاجتماعية . أما مصادره فهى : العادة ، والدين ، والتشريع ، وآراء الفقهاء ، وأحكام المحاكم ، وقواعد العدل والإنصاف . فالعادة هى أمر يستقر الناس عليه بالتكرار على وتيرة واحدة فترسخ عندهم ويكون الخروج عليها عملا مخالفا للنظام المألوف ، ويعبر عنها فى الشريعة الاسلامية بالعرف . وقد جاءت أمثلة عدة تجعل العرف كأنه قاعدة مسنونة ، منها قولهم : « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » . والدين هو قوة غيبية يتعبد بها الناس كل بحسب اعتقاده . وهو ما شرع فيه شرع يحدد كثيرا أوقليلا من العلاقات القانونية . وأوسع الأديان شريعة هو الدين الاسلامى ، فقد أنزلت فيه شريعة تبين الأحكام القانونية بأجمعها . أما التشريع وقد بيناه فى صدر هذا الكلام فهو عمل القوانين بواسطة السلطة التشريعية ، الخ . وأما آراء الفقهاء أو الشراح فهى التى توضح وتبين القواعد والأحكام التفصيلية بالاستنباط والاستنتاج من القواعد العامة ، وهم يختلفون فى وجهات النظر ، فقد لا يرى فقيه ما يراه الآخر ، ولهذا لا تكون آراؤهم قاعدة قانونية واجبة النفاذ حتى ولو أجمعوا عليها ، بل تكون حلا قانونيا . بخلاف ما ورد فى الشريعة الاسلامية ، فاجماع الفقهاء قاعدة شرعية يجرى العمل على مقتضاها ، إذ قالوا : إن من لم يتبع إجماع العلماء يسير فى غير سبيل المؤمنين . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » ، وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول : « إن الاجماع حجة » ، أما الامام أحمد فقد قال : « إن من ادعى الاجماع فهو كاذب » . وأما الامام مالك رضى الله عنه فقد قال لأبى جعفر المنصور حينما همّ بأن يجمع آراء مالك لتكون قانونا لدولته : « يا أمير المؤمنين لا تفعل ، قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم » . وجاء الرشيد بعد المنصور وأراد أن يحمل الناس على ما جاء فى موطأ مالك ، وشاوره فى أن يعلقه على الكعبة ويحمل الناس

على العمل بما فيه ، فاعترض مالك أيضا قائلا « لا تفعل فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى الفروع ، وتفرقوا فى البلدان ، وكل مصيب » .

وأما أحكام المحاكم فقد تكون منشئة لقاعدة قانونية تطبق فيما بين الناس فى المنازعات ، ولا تنشأ هذه القاعدة إلا إذا كان هناك غموض أو إيجاز فى نص القانون ، ففى هذه الحالة تتصرف المحاكم فى تفسير مواد القانون بتوسع لتدخل تحتها الأحوال الجديدة . وأما قواعد العدل والإنصاف فقد تطبق فى الأحوال التى لا نص فى القانون على موضوعها ، ومرجعها ضمير القاضى وتحيزه للعدل والانصاف فى حسم النزاع المعروض عليه ، فكأنه بحكمه هذا ينشىء قاعدة قانونية جديدة أساسها العدل والانصاف ، والقاضى فى هذه الحالة يعتبر مشرعا .

هذه هى مصادر القانون الستة . وقد بدأ التشريع عند الرومان لما أن تغيرت حالتهم واتسعت فتوحاتهم ونمت تجارتهم وكثر اختلاطهم بالأجانب ، ورأوا سن القوانين ووضع النظم لتقرير حالاتهم الجديدة . وكانت مصادرهم التشريعية كذلك ستة : (١) أوامر الملوك فى عصر الملكية من ٧٥٣ سنة ق . م (٢) أوامر الأمبراطور فى العصر بين ٢٧ ق . م و ٢٨٤ . ب . م . (٣) قرارات جمعية الشعب . (٤) قرارات مجلس الشيوخ . (٥) أوامر الحكام . (٦) فتاوى العلماء . أما العادة فقد كانت المصدر السابع وحدها .

أما التشريع فى العصور الوسطى فقد كان قليلا جدا ، أو كاد يكون معدوما ، لأن شعوب أوربا كانت تتبع القانون الرومانى فى معاملاتها ، وتتبع القانون الكنسى للأحوال الشخصية . فلما أن تقوت الحكومات المركزية بدأت تسن قوانين خاصة ، مثل إنشاء محاكم أو تقرير إجراءات فى الدعاوى أو فى المسائل الاجتماعية . ففرنسا مثلا كانت فى القسم الجنوبى تتبع القانون الرومانى ، ولذلك سمى هذا القسم ببلاد القانون ، وسمى الجزء الشمالى ببلاد العرف ، إذ كانت تتبع العرف ، غير أنهم رأوا حاجتهم لتقنين ليكون القانون ثابتا وظاهرا ومعروفا وموحدا فى كل فرنسا ، فبدىء بالعمل فى ذلك فى عهد الملك شارل السابع فى منتصف القرن الخامس عشر ، ثم حصل تقنين فى أجزاء أو فروع القانون على عدة وقعات ، وتم كثير منها فى عهد لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ، ثم جاءت الثورة الفرنسية ونشأت فكرة سن قانون جامع لكل الأحكام . غير أن هذه الفكرة كانت قد أهملت حتى جاء نابليون فصدر القانون المدنى الفرنسى فى ٢١ مارس سنة ١٨٠٤ ، وأتبع بعد ذلك بقوانين جامعة لكل الأحكام الخاصة بمسائل أخرى .

أما التشريع فى الأقطار الاسلامية فلم تكن هناك قد سنت قوانين من أول نشأتها الى أوائل القرن التاسع اكتفاء بالشريعة الاسلامية .

هذه نبذة صغيرة وكلمة مجملة قصيرة عن التشريع وتاريخه عند بعض الأمم ، أتينا بها حتى إذا ما تكلمنا عن الفروق بين شريعتنا الاسلامية وشريعة أمة أخرى نكون على بينة

من مقدار ثقافة تلك الأمة وحضارتها وتشريعها ، وإن كان هناك مساوئ أو محاسن نستطيع أن نعرف فى أى عصر هى أفى العصر الفطرى أو العلمى ليكون الحكم عادلا ونزيها . على أن أى شريعة مهما وصلت من الرقى وبلغت أعلى درجات الكمال فان تصل بحال الى ما وصل إليه العرب الذين اختار الله منهم نبيا ورسولا ، فجاء بشريعة بزت كل الشرائع قديمها وحديثها . وإن نواحى الاستشهاد على ذلك كثيرة ، ولكن هناك ناحية ظاهرة تميزت بها الشريعة الاسلامية وهى حقوق المرأة ، فلقد كانت عند الرومان شيئا من الأشياء كالدابة والرقيق مهضومة الحق مهيضة الجناح : كانت إن تزوجت تنتقل من عائلتها الأصلية الى عائلة زوجها ، وتعتبر ميتة بالنسبة لعائلتها الأصلية ، إذ تنقطع كل صلة كانت لها برب أسرتها وبأعضائها وعشيرتها ، ويسقط كل حق لها قبلهم من ميراث ووصاية وقوامة ، بل وتخرج من ديانة عائلتها الأصلية الى ديانة زوجها ، وتخضع لسيادته وسلطانه ، فله أن يبيعها وأن يعاقبها وأن يعذبها وأن يقتلها ويمتلك عنها كل حق كان لها قبل الزواج إن كانت مستقلة بحقوقها . وكانت عقوبة زنا الزوجة نفيها . ولكن الأمبراطور قسطنطين استبدل الإعدام بالنفى ، وقصر حق إقامة الدعوى على الزوج وبعض الأقارب . أما الزوج فلم يقرر له القانون الرومانى سوى بعض عقوبات مالية تفقده حقوقه فى الدوطة وفى الهبات الصادرة إليه بسبب الزواج .

والزواج عندهم على نوعين : زواج مع السيادة ، وزواج بغيرها . وينعقد الزواج بواحدة من ثلاث طرق : (١) طريق الزواج الدينى (٢) طريق الشراء (٣) طريق الاستعمال .

فأما الزواج الدينى فهو مقصور على طبقة الأشراف دون سواهم ، وهو أن يقدم طالب الزواج الى إله الآلهة جوبتر Jupiter قربانا هو عبارة عن كعكة ويرتلان عبارات دينية معينة أمام عشرة شهود ، وهو أكبر عدد ممكن اشترطه القانون الرومانى فى كل عقد من العقود ، وبحضور الحبر الأعظم وكاهن المعبد .

أما الزواج بطريق الشراء فانه يتم بالطريقة التى تكتسب بها ملكية الأشياء ، أى بطريق الاشهاد مع تغير العبارات بعبارات تتفق والغرض المقصود منه (غرض الزواج) .

وأما الزواج بطريق الاستعمال فهو معاشرة الزوج لزوجته مدة سنة كاملة بلا انقطاع بحيث لا تغيب عن المنزل ثلاث ليال متواليات ، وبذلك تكتسب السيادة عليها كما يكتسب الملك بوضع اليد مدة بغير انقطاع .

وهذا النوع من الزواج لا يقام له وزن فى الشريعة الاسلامية ، ولا يقال عنه زواج ، بل هو سفاح ، لأن الزواج عقد لا ينعقد إلا بالألفاظ الصريحة الدالة عليه ، حتى لقد غالى بعض الفقهاء فى ذلك ، فقالوا : إن النكاح لا ينعقد بغير العربية لمن يستطيعون الكلام بها ويفهمونها ، وإن كان ابن تيمية قد رد على هذا بالجواز ولو مع الكراهة ، كما يكره الخطاب

بغير العربية لغير حاجة كما يرى مالك واحمد والشافعى . نعم إن الشارع قد عنى بصراحة اللفظ وشدد فيها لاعتبارات كثيرة أرجعها صاحب تهذيب الفروق الى أربعة أوجه ، وقد نقلها مع بعض التصرف للتوضيح صاحب كتاب الملكية ونظرية العقد ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ، ونحن ننقلها عنه كما أوردها ، أولها « أن النكاح لا بد فيه من لفظ يشهد عليه فيه أنه نكاح لا سفاح ، لأن القاعدة أن الشهادة شرط فى النكاح إما مقارنة للعقد كما قال الأئمة الثلاثة ، أو قبل الدخول كما قال مالك . وعلى التقديرين لا بد من لفظ » . وثانيها « أن النكاح عظيم الخطر جليل المقدار لأنه سبب بقاء النوع الإنسانى وسبب للعفاف الحاسم لمادة الفساد واختلاط الأنساب ، وسبب للموادة والمواصلة والسكون ، وغير ذلك من المصالح ، والقاعدة أن الشئ إذا عظم قدره شدد فيه وكثرت شروطه وبولغ فيه فى العادة تعظيما لشأنه ورفعا لقدره . الى أن قال « لذلك كله شدد الشارع فى النكاح فاشترط الصداق والشهادة وخصوص الألفاظ » .

فانظر الى هذا الفرق الكبير الواسع المدى بين الشريعة الإسلامية والشريعة الرومانية فى أهم ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، تلك الناحية هى الأساس المتين الذى يقام عليه بناء الإنسانية : تراه فى شريعة الرومان مقوض الأركان ، أما فى الشريعة الإسلامية فثابت الأساس قوى البنيان . وانظر كذلك الى المرأة الرومانية فى أول عهدها كيف كانت ذليلة مسكينة تدين بالعبادة لزوجها وتعتبره إلهاً تخضع له وله عليها سلطان جبار ، وكان القانون الرومانى يعتبرها طول حياتها قاصرة عن مساواة الرجل ، إلى أن أعطيت لها الحرية تدريجياً سنة ٢٩٢ بعد الميلاد وفى عصر ديوقلتيان (Diocletian) . أما فى فرنسا فقد بقى فى القانون الفرنسى فقد بعض أهلية المرأة المتزوجة دون غير المتزوجة لفكرة « حماية الزوجية وإخضاعها لزوجها » . لكن التشريع الحديث يتجه الى مساواتها بالرجل كما جاء فى كينان . أما المرأة العربية ففضلا عما كانت عليه من قوة فى الفصاحة ودقة فى الفهم وعظم فى النبل والأخلاق ، فقد كانت على جانب عظيم من حرية الفكر والرأى . ولولا أن المقام ضيق لسردت الكثير من أخبار نساء العرب ، خصوصا وقد جاء الإسلام فرفع من شأن المرأة حتى وضعها فى مكان عال ، وسوى بينها وبين الرجل فى الحقوق والأهلية والتكاليف الشرعية ، إلا فيما رفه فيه عنها رفقا بها وحرصا على كيانها ، ونظم حياتها الزوجية أحسن تنظيم ، وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عليها بقوله : « اتقوا الله فى الضعيفين المرأة والرقيق » .

هذا ما أقتصر على ذكره الآن ، وسنأتى فى العدد الآتى بالكثير من الفروق مما يجعلنا نحمد الله على أن هدانا لنكون من أهل الشريعة الإسلامية ، وما كنا لنهتدى اليها لولا أن هدانا الله ؟

مصطفى عبد الحميد أبو زيد

المندوب القضائى بالأوقاف الملكية سابقا

بحوث في المسائل الاقتصادية

نشأة الحياة الاقتصادية عند العرب

بعث النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٦١٠ ميلادية ، وشبه جزيرة العرب كان مسرحا للفوضى الاجتماعية والاقتصادية ، والروم وفارس والحبشة فى عهد ضعفها وانحلالها ، ومظاهر الحياة الاقتصادية معطلة فى تلك البقاع ، والمواصلات بينها شاقة وقليلة ، وأكثرها غير مأمون ، فقطع اتصال العالم المادى كما فقد اتصاله الروحى ، وانقسم الى وحدات اقتصادية مفككة تسير على غير برامج موضوعة ، ولا فى هداية قوانين مرسومة .

وتمتاز جزيرة العرب بمكانها الوسط ، ومناخها المتقلب ، وصحاريها الممتدة ، وتلالها المنتشرة حول مدنها ، لذلك احتفظت فى داخل حدودها بحالة موسومة بطابع الجدب والإمحال ، إلا فى بؤر خصيبة مزروعة فى الطائف وحول يثرب وفى بعض جهات اليمن ، وإلا ما خلفته القوافل التى تسير فى وديانها من الشرق الى الغرب ، ومن الجنوب الى الشمال ، من مظاهر الغنى عند سادات القوم ، فتركت فى نفوسهم شغفا بالمال ، ونشرت بين أرجائهم ميلا للشهوات .

فلما جهر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته ، اصطدم بتلك العقول التى غلبت عليها المادة ، وفساد الفطرة ؛ وإنك لتلمح ذلك فى لجاج المشركين فى طلب المعجزات من الرسول ليرفع جبال مكة وما حولها ، حتى لا تظل حبيسة بينها ، ويوجد بدلها الرياض والجنان تجرى بينها الأنهار ، ويحيل الصفا والمروة ذهبا ، أو يوحى إليه ربه أثمان السلع حتى يضاربوا على المستقبل ويكفيهم بذلك الحاجة الى العمل والكد ، ويفيض عليهم ذلك بالخير والغنى ، ويأتى إليهم بكنز من الذهب وغير ذلك مما يظهر مبلغ ميلهم الى الكسل والتواكل ، ورغبتهم عن العمل ، وحبهم المال حبا جما ، شأن سكان الصحارى فى الجهات الحارة . فتعهد الرسول تلك العقول بالتعليم والهداية حتى أدركت وتهيأت لقبول الانقلاب الاقتصادى والاجتماعى الذى أتى به ، ثم الاتجاه نحو النظام والاستقرار الذى أوجده بعد هجرته الى المدينة ، حيث استتب له الأمر ، وبدأ حياة سياسية وضع فيها أمهات النظم والقوانين . وبذلك قال جعفر بن أبى طالب للنجاشى فى الحبشة : « أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى

الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ... الخ » .

وكان أول شيء فكر فيه عليه الصلاة والسلام بعد هجرته أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، وصرح لهم بأنه لا يكمل إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وعلى هذا بنى الاقتصاد فى الاسلام على أسس من الإخاء والمحبة والتعاون ، قضت على الأثرة والحسد والغش .

ولعل أروع مظاهر هذا النظام الجديد نزول كثير من الأنصار عن نصف أملاكهم وأموالهم لإخوانهم المهاجرين ، وأكثرهم أهل تجارة ، فأقبلوا على أسواق المدينة بخبرتهم يدفعهم دينهم الجديد الى الدأب والعمل المتواصل فى أمانة ونزاهة .

ثم بدأ النبي يعالج التجارة ، وهى أهم مظاهر الحياة الاقتصادية فى مثل تلك البيئة ، فقال ينبه الناس الى خطرها : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » ، وبين الحلال والحرام فى المعاملات فاضطرت طوائف كانت تتجر فى النساء والخمور والمخدرات ، أو تتعامل بالربا ، أو تجمع الثروة من المقامرة ، الى الكف عن تلك الأعمال الباطلة والبحث عن عمل شريف فى التجارة أو الزراعة ، يعود عليهم بالكسب الحلال ؛ وأنزل الله قانونا رادعا يقطع أيدى السارقين ، فأمن الناس واطمأنت العير فى طرقها تغدو وتروح بين وديان الجزيرة ، تحمل كنوز التجار وأموالهم ، فى حراسة الله ، وظل السلطة التنفيذية ، التى يمثلها الرسول وجيوش المسلمين .

وحظر التلاعب بالأسعار والمكيال « فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، « ويل للمطففين » ، « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ، فانتظمت الأسواق ، وأقبل الناس على التعامل ، وعاد ذلك بالربح الوفير على أصحاب رءوس الأموال . وترتب على تحريم الإسراف والتبذير فى قوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أن كثرت فى أيديهم الأموال ، وما استطاعوا كنزها لتحريم الكنز عليهم ، وفرض ضرائب وصدقات عليهم تذيبها إذا بقيت جامدة لديهم ، فلم يجدوا بدا من استخدامها فى التجارة والزراعة ، فنمت وازدهرت ، وكان لفريضة الزكاة أثرها فى ذلك ؛ فزكاة الأموال هى نوع من الضرائب التى تفرضها الحكومات فى الوقت الحاضر على رءوس الأموال وعلى الأرباح ، ومن فوائدها للتجار أنها تحملهم على مراقبة حركات تجاراتهم ومعرفة ما يطرأ عليها من النقص والزيادة لتقدير قيمة الضرائب ، وفى تلك الرقابة ضمان لضبط حساباتهم ، فيأمنون من الوقوع فى الاضطرابات المالية ، وخطر التعرض للإفلاس .

ونشأ عن توحيد جزيرة العرب وخضوعها لشريعة ونظم واحدة ، أن زادت المعاملات بينهم ، وتطورت تبعا للحياة الجديدة ، وظهر فى نواحى العمل المختلفة بعض أرباب الكفايات المالية الذين يعوزهم المال ، فكانوا يعرضون أنفسهم على ثراة المسلمين للاتجار فى سلعهم ، أو الاقتراض منهم بدون ربا الى أجل مسمى ، ولم يعد التعامل مقصورا على التجارة الحاضرة حيث الدفع عند التسليم ، إذ أن كثيرين من المتعاملين لا تقدرهم ظروفهم على الدفع فورا ، ولا مناص لهم من البيع والشراء لحاجة عملهم أو معيشتهم ، فيلجأون حتما الى تأجيل الدفع لزمن معين يتفقون عليه فيما بينهم ، وقد يطول أجله ، وكانوا يعطون المواثيق لسداد الديون الناشئة عن الاقتراض والمتاجرة ، ولكن المواثيق لا تكفى فى عالم المال خصوصا فى الديون الطويلة الأجل ، فقد يموت المدينون أو يهاجرون الى بلد آخر فتضيع حقوق أصحاب الأموال ، وقد يحنثون فى مواثيقهم أو ينكرها ورثتهم ، لذلك جاء الاسلام يقرر نظاما لم يسبقه اليه تشريع آخر ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو ، فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم » الى أن قال : « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم » .

ذلك بلا ريب فتح مبين فى عالم التجارة والمال ، فقد أصبحت الكتابة خير إثبات لديونية المدين ، وخير كفيل لحصول الدائن على دينه فى ميعاده ، وأمكن بذلك انتقال الدين المثبت بالكتابة الى الورثة ، كما أصبح فى إمكان الدائن الذى فى حوزته صك بقيمة الدين أن يستفيد به كضمان لقروض يعقدها مع غيره ، أو بضاعة يشتريها ، وتطور هذا الصك فأطلقوا عليه اسم السُفْتَجة ، وهى أصل الكمبيالة ، التى تقوم على أساسها المبادلات بين العالم الآن ، إذ الكمبيالة ما هى إلا صك موضح به مبلغ من المال هو قيمة الدين المستحق للدائن فى ذمة المدين ، الذى يتعهد بدفعه إليه ، أو الى من يأمر به فى زمن معين ، ويوضح بيان هذا الدين على وجه الكمبيالة .

هذا وقد اكتفت الآية بالشهادة للإثبات فى التجارة الحاضرة ، لأن عمليات البيع والشراء وما تقتضيه من السرعة والبساطة لا تحتاج الى إجراءات الكتابة المطولة ، وذلك عين ما يقرره القانون التجارى الذى وضعه المشترعون فى القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، وتسير عليه البلاد اللاتينية ومصر .

وثمة ظاهرة أخرى كان لها أثرها فى حياة العرب الاقتصادية ، وهى طبقة الرقيق ، فكان العرب يملكونهم عن طريق الشراء أو الحروب ، ويستخدمونهم فى أموالهم ورعى إبلهم وخدمتها ، ولا يعترفون ببنوة من يلدون ممن ملكت أيمانهم ، ولا يورثونهم ، فبدأ الاسلام يحررهم بالتدريج ، فساوى بينهم أولا و بين غيرهم فى العبادات و المعاملات ، واعتبر عتقهم كفارة ، وقال عمر بن الخطاب « بماذا استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » . بذلك غدا بعض الرقيق طلقاء يعملون فى الزراعة والتجارة بالخبرة التى اكتسبوها من بلادهم ، كعمال ومستأجرين يتناولون أجورا نظير الأعمال التى يقومون بها ، ومنهم من صار من قادة الرأى وأصحاب الأعمال .

وقد نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معالجة ظاهرة الرقيق هذه الطريقة نفسها التى اتبعها مع اليهود المزارعين بجوار خيبر ، فانه أبقاهم على أرضهم التى آلت اليه بحكم الفتح ، على أن يكون لهم نصف ثمرها نظير عملهم فى زراعتها ، لأن خيبر غنية بحدائقها ومزارعها ، وهذا يحتاج الى أيد كثيرة خبيرة بفنون الزراعة ؛ كذلك الرقيق فانه لم يبت فى منعهم لأنهم كانوا يقومون بالأعمال الأساسية فى الزراعة والتجارة وبعض الصناعات التى ظهرت فى الجزيرة ولا يمكن للعرب القيام بها ، إما لأنها تتنافى مع طباعهم أو لجهلهم بها ، ولذلك كان من الحكمة الاقتصادية البطء فى إبطال الاسترقاق لأنهم لو حرروا مرة واحدة فإما أنهم كانوا يمتنعون عن أداء ما كلفوا القيام به من تلك الأعمال ، وإما أن يهاجروا فتقل الأيدى العاملة ، ويحرم المبادلة عدد من المستهلكين . ولهذا السبب قامت حرب أهلية طاحنة فى أمريكا فى القرن التاسع عشر بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، وذلك لأن أهل الشمال لما أرادوا تحرير العبيد ، رفض أهل الجنوب تحريرهم حيث الأرض زراعية تحتاج الى تلك الطبقة ، ودخلوا فى حرب مع الشماليين لهذا السبب ؛ ولكن النصر كان لأهل الشمال ، وتحرر العبيد ، ولم يحدث ضرر لأن العالم فى القرن التاسع عشر الميلادى كان غير العالم فى القرن السابع من حيث النهضة الصناعية والزراعية والتجارية .

ولما اشتبك المسلمون فى حروب مع اليهود والروم والعجم ، وأسروا منهم خلقا كثيرا ، كان لهم أثر كبير فى نهضة العرب الاقتصادية ، كما أن نزوح المسلمين الى بلاد الفرس والهند وربوع الشام ومصر ، وانتشار الاسلام فى تلك البقاع ، واتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية ، استوجب ابتداع نظم جديدة لادارة شئون الحياة الاقتصادية بدقة . وهذا ما سنبينه فى البحث القادم ، إن شاء الله ؟

ابراهيم زكى

خريج كلية التجارة العليا

بين رجال الدين و الفلسفة

من الخير لمن ينشد الحق ألا يمر ما يكتب دون بحث ولا تعقيب حتى يظهر هذا الحق واضحا يفرض نفسه على المنصفين فرضا . ومن الخير الكثير أن يكون الذى يقوم بالتعقيب مثل الأستاذ الجليل فريد وجدى بك : صدراً رحباً ، وتحققاً عميقاً بثقافة الاسلام وثقافة الغرب ، وحبا للحقيقة يطلبها لمن تكون ، وقلباً عامراً بالإيمان يجعل لما يصدر عنه أطيب الآثار .

وقد تفضل السيد الأستاذ بالتعليق على كلمتى السابقة تعليقاً فيما أنا به مغتبط وله مقدر ؛ لهذا لايسعنى أن أمر به دون كلمة قصيرة ، أرجو ـ وقد قال عزته كل ما يريد أن يقول فيما أظن فى موضوع النقاش ـ أن تضع الأمر فى نصابه ، وأن أخلص بعدها لإتمام البحث الذى بدأته :

١ — لا أظن مطلقا أن القول « بجهل بعض رجال الدين أو بعدم إنصافهم فى معاداة العلوم الفلسفية » يزعزع صرح الدين ويعرض بناءه للخطر . لأن الدين أثبت دعائم وأمتن بناء من أن يتأثر بقول كلمة الحق فى بعض من انحرفوا عن مبادئه فى محاجتهم لخصومهم فى الفكر ؛ هذه المبادئ التى منها الأمر بمجادلة أهل الكتاب ـ بله المسلمين ـ بالتى هى أحسن ، لا باللعن والسجن والتعذيب ! ولا أنكر أنه مما يؤلم الإشارة الى مواقف لا تسر من نفر من رجال الدين بالنسبة للفلاسفة وأضرابهم ؛ ولكن ماذا يفعل الباحث إذا كان مضطرا ، كى يصل إلى الغاية من بحثه ، أن يستعرض مراحل هذا الخلاف فى جميع العصر لا فى عصور الازدهار وحدها ؟ وهو فى الوقت نفسه معترف بما كان من تشجيع للفلسفة وسائر ألوان النظر العقلى فى العصر الذهبى للاسلام ، وبأن طبيعة الاسلام نفسه تدعو الى هذا التشجيع .

٢ - على أنه أيضا ليس معنى هذا أننا نحكم على الاسلام وجميع أئمته وأعلامه بصنيع طائفة فى زمن التأخر والانحطاط ، ولهذا رأيت أن أحتاط من أول الأمر ، فجعلت العنوان العام للبحث : « بين رجال الدين والفلسفة » ولم أجعله بين الدين والفلسفة ، حتى يظل الدين فى أعين المسلمين وغير المسلمين على السواء بريئاً من تهمة التعصب وعداوة العلم . ولذلك أيضا وافقنى السيد الأستاذ فى تعليقه على وصف الدافع لمن أحرقوا كتب ابن الهيثم وعذبوا عبد السلام الركن(١) ونظراءهما بأنه الجهل بالدين ، والبغى بالخروج عن مبادئه السامية التى منها الحث على العلم ، وإلانة القول للخصم ولو كان فرعون ، لعله يتذكر أو يخشى !

(١) صحة اللقب الركن بالراء لا بالدال كما ورد خطأ مطبعياً بالكلمة الثانية .

٣ — يرى السيد الأستاذ الجليل أنه : « إذا كان فى الأرض دين تأبى طبيعته أن ينشأ فيه اعتزال وعلم للكلام فهو الاسلام » . وأعتقد أن الحق أن نقرر أن القرآن الكريم — وهو أساس الدين — بما فيه من الآيات التى توهم التجسيم والتشبيه ، والآيات التى يوهم بعضها الجبر وبعضها الاختيار ، والآيات الأخرى التى أشارت الى أمهات مسائل علم الكلام إشارات قريبة أو بعيدة ، يدفع الى علم الكلام دفعا . إذن يكون من الطبعى حدوث علم الكلام ، وإن كان من التعسف ومن عثار الجد الإسراف فيه وفى الجدل فى هذه المسائل التى أشار اليها القرآن بالحق وبالباطل ، كما ذهب غلاة المعتزلة وأرباب المقالات والفرق الاسلامية الذين أثبت قانون الانتخاب الطبيعى — كما يقول صاحب العزة الأستاذ الجليل بحق — أن كثيرا من الآراء التى أسرفوا فى التعصب لها لم تكن مما يستحق البقاء ؛ حاشا المنطق والفلسفة المتزنة ، فقد حوربا من كثير من رجالات تلك العصور أشد حرب وأعنفها ، ولا يزالان يدرسان لليوم ويزدادان على مر الأيام رسوخا حتى فى الأزهر .

٤ — بقى بعد هذا أن أعترف للسيد الأستاذ بأنه محق فى أن المراد بالحكمة فى قول الرسول : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ولو من مشرك » لا يمكن أن يكون السنة النبوية أو الأحكام والشرائع أو نحو ذلك مما نقلته عن أبى السعود والقرطبى وغيرهما ، وأن أعترف بأن المراد بها الحكمة القرآنية التى تجلت فى الآيات كما جاء بمقال عزته . وهذه الحكمة هى كما يقول حضرته التى جعلت لتوجيه الأمة الاسلامية علميا وعمليا الى الكمال الذى خلق الانسان ليصل اليه ؛ على أنه وإن كان لا يشك مسلم فى سمو هذه الحكمة على كل ما عرف العالم من فلسفات ، فان هذا شىء وتسميتها فلسفة بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة شىء آخر ، ولا ينقص خطرها أن تسمى فلسفة ، فالعبرة بالمسمى لا بالتسمية .

وأخيرا بعد شكرى لصاحب العزة السيد الأستاذ الجليل على ما أفدت من مقاله القيم الممتع ، أنتقل الى متابعة الحديث .

***

انتهينا فى المقال السابق من الكلام عن موقف رجال الدين من علم الكلام ورجاله ؛ والآن نبدأ الحديث عن موقفهم من الفلسفة ورجالها فى المشرق أولا ثم فى المغرب ثانيا ، لتتكون لمن يعنيهم الأمر من حضرات القراء فكرة واضحة عن الجو العلمى الذى كان يسود فى تلكم الأيام ، وعن الأهواء والنزعات التى كان يضرب بعضها بعضا ، حتى كان من الضرورى ، على ما سيجىء ذكره ببعض البسط ، أن تنبت فى الاسلام فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة ، أو بعبارة أخرى بين الوحى والعقل .

أولاً فى المشرق :

عرف المسلمون فى القرنين الثانى والثالث جانبا كبيرا من الفلسفة اليونانية ، على كثرة ما انتابها

من المزج والخلط فى تطوافها من أثينا وروما الى الاسكندرية وبغداد ، فتلقفتها طوائف من المسلمين بعقول ظمأى للمعرفة ، ونفوس طامحة للظهور على مدنيات الأمم السالفة وتمثل تراثها العقلى . بينما أوجس العامة ورجال الدين منها خيفة ، ورأوا الشر يمشى فى ركابها ، والإلحاد كامنا فى ثناياها ، حتى لقد هال البعض ــ كما يقول الغزالى فى مقدمة تهافت الفلاسفة ــ بعض أسماء رجالاتها كسقراط وبقراط وإفلاطون وأرسطوطاليس ! نجم سوء الظن منذ اللحظة الأولى التى التقت فيها فلسفة أثينا والإسكندرية المعقدة ــ التى تقول بقدم العالم وصدوره عن الله صدور المعلول عن العلة ــ بالإسلام السمح السهل ، الذى يحفظ لله كل جلال ، ولا يرضى له تعالى أن يكون علة لمخلوقاته تصدر عنه من غير رضى واختيار .

وكان من الطبعى أن تعلق التهمة أول ما تعلق بالمأمون ، الذى نشر الفلسفة بترجمتها ، وأيدها باحتضان رجالاتها ، فاتهم فى دينه ، حتى يرى تاج الدين السبكى على ما جاء فى طبقات الشافعية أنه انساق للقول بخلق القرآن ، وناهيك بذلك بدعة فى الدين وثلمة فى صرحه ، بسبب القليل الذى كان يعرفه من علوم الأوائل (١) . وكان من الطبعى أيضا اتهام أصحاب المأمون وخاصته بالرقة فى الدين لميلهم الى علوم الأولين ! ومن هؤلاء الأصحاب الذين ألف بينهم وبين المأمون الاتحاد فى النزعة الفلسفية على بن عبيدة الريحانى . لقد كان كما يقول ياقوت فى معجمه له اختصاص بالمأمون ، ويسلك فى تأليفاته طريق الحكمة ، كما كان يرمى بالزندقة (٢) . ويقص علينا ياقوت أيضا فى موضع آخر نبأ أبى زيد أحمد بن سهل البلخى المتوفى عام ٣٢٢ هـ والذى كان يقوم بجميع العلوم القديمة والحديثة ويسلك فيما يؤلف طريقة الفلاسفة ولهذا رمى بالإلحاد . (٣) ولم يحمه من هذه التهمة ما ألفه من كتب فى الدين ؛ ومنها كتاب فى عصمة الأنبياء ، وآخر فى نظم القرآن ، وآخر فى قوارع القرآن ، وآخر فى أسماء الله وصفاته ، وآخر فى تفسير الفاتحة والحروف المقطعة فى أوائل السور ؛ لم يشفع له شىء من هذا لأنه كما يدل عليه التاريخ ويؤيده ياقوت كانت التهمة فى الدين تسير جنبا لجنب مع العناية بعلوم الأوائل (٤) . ولهذا نجده يصف أحمد النهرجورى ــ الذى عاش فى القرنين الرابع والخامس ومن أهل البصرة ــ فى ترجمته له بأنه كان سىء المذهب ، متظاهرا بالإلحاد ، وأقوى طبقة فى الفلسفة وعلوم الأوائل (٥) .

ولم تكن الطبيعيات والإلهيات وحدها هى المخصوصة بالذم من العلوم الفلسفية ، بل كان بعض المترمتين (وما أكثرهم فى كل عصر !) يتخوفون من الحساب مع الحاجة إليه فى المواريث

(١) طبقات الشافعية الكبرى ص ٢١٨ ج ١ (٢) معجم الأدباء طبعة الدكتور رفاعى ج ١٤ ص ٥١ ــ ٥٢ (٣) نفسه ج ٣ ص ٦٤ وما بعدها . (٤) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية من مقال للمستشرق المعروف جولد زيهر ص ١٣٠ عن معجم الأدباء لياقوت .
(٥) معجم الأدباء الطبعة المذكورة ج ٥ ص ٧٣ وما بعدها .

والمعاملات ، ومن المنطق مع عظيم غنائه فى الاستدلال لأصول الدين وقضاياه ، لا لشىء إلا لأنهما من علوم الفلاسفة ، حتى كان من أمثالهم : من تمنطق فقد تزندق ! ها هو ذا الغزالى فى تهافته وفى المنقذ من الضلال (١) ينحى باللائمة على بعض أصدقاء الاسلام الجهلاء الذين أنكروا على الفلاسفة علومهم الرياضية لظنهم أن الدين ينصر بانكار كل ما ينسب إليهم من أنواع العلوم والمعارف ، وجرّهم ذلك الانكار الى الزعم بأنهم أخطأوا فيما جعلوه من أسباب للخسوف والكسوف ، وأن ما قالوه فى هذا مخالف للشرع . وكانت العاقبة أن ضروا الاسلام دون أن يفيدوه ، إذ من عرف وثاقة برهان الفلاسفة لم يشك فيه ، لكن يعتقد « أن الاسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فيزداد للفلسفة حبا وللاسلام وبغضا » . (٢)

على أن حجة الإسلام وإن رأيناه هنا معتدلا يصيب المحز ويطبق المفصل ، فاننا نراه فى موضع آخر متطرفا فى حكمه ، غاية فى الشدة فى حذره . فأنه لما تكلم فى المنقذ أيضا على علوم الفلاسفة الخلقية رأى أن الفلاسفة المسلمين كأخوان الصفاء وأمثالهم مزجوا الحق بالباطل ، إذ جعلوا فى أثناء كلامهم وكلام القدماء كثيرا من الحكم النبوية وكلام المتصوفين ، فربما استحسن الجميع من لا يستطيع التمييز بين الطيب والخبيث فيسارع الى قبول باطلهم ، ولهذا يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الخطر ؛ وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط ، يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب ؛ وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات ، يجب صون الأسماع عن مختلط تلك الكلمات . (٣)

وإذا تجاوز الباحث العصر الذى عاش فيه الغزالى يجد الخليفة العباسى المستنجد بالله يأمر كما يقول ابن الأثير بمصادرة أحد القضاة ، فتؤخذ كتبه ويحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة ، فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا ودائرة معارف إخوان الصفاء (٤) . ولعل مما يفيد جدا الإشارة الى رأى جمال الدين بن الجوزى البغدادى المتوفى عام ٥٩٧ هـ فى هؤلاء الفلاسفة وأتباعهم الغاوين ! يرى ابن الجوزى هذا أن فلاسفة الاسلام الذين اغتروا بفلاسفة الأغريق فأخذوا عنهم وشاركوهم فى آرائهم ، خلعوا ربقة الاسلام ، فصار اليهود والنصارى أعذر منهم لتمسكهم بشرائع دلت عليها المعجزات ؛ أما أولئك فلا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة حكماء ! (٥)

ومما تجب الاشارة اليه أيضا فيما نحن بصدده ، ما امتحن به سيف الدين أبو الحسن على الآمدى أوحد الفضلاء وسيد العلماء ، وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية والمذاهب الشرعية كما يقول

---

(١) الأول ص ١٠ وما بعدها طبعة بيروت ، والثانى ص ٩٠ وما بعدها طبعة دمشق .

(٢) المنقذ من الضلال ص ٩٠ (٣) نفسه ص ١٠٥ (٤) تاريخ ابن الأثير ج ١١ ص ١٠٤ طبعة بولاق (٥) تلبيس إبليس طبع مصر سنة ١٩٢٨ ص ٤٩

ابن أبي أصيبعة (١) ؛ دفعت الأيام بهذا الحبر الحفي للتنقل من بغداد للشام ثم الى الديار المصرية حيث ألقى عصا التسيار ، وظن أن السعادة واتته فلن يلقى إلا العز والعيش الخفض ؛ ولكن أنى له هذا وآفة العلم وداء العلماء – أعنى الحسد – له بالمرصاد ! فقد تصدر للتدريس بالجامع الظافرى بالقاهرة ، واشتهر فضله ، وقصده الناس من كل صوب ، فحسده جماعة من الفقهاء وتعصبوا عليه ، وطوعت لهم نفوسهم أن يرموه بأشنع التهم ، وهى – كما كان بدع ذلك الزمن – فساد العقيدة وانحلال الطوية ، ومذهب الفلاسفة والحكماء . ورغبة منهم فى التوثق من الإيقاع به كتبوا محضرا بما رأوا ووقعوا عليه ، وأعلنوا فيه استباحة دمه . إلا أنه نذر بذلك فخرج على استخفاء وفر هاربا للشام حيث قام بالتدريس فترة من الزمن باحدى مدارس دمشق ، ثم عزل لمثل ما قرف به فى مصر ، وظل متعطلا من العمل الرسمى حتى توفى عام ٦٣١ هـ . ومن جميل ما يذكر فى هذه المأساة أن أحد من دعوا للتوقيع على ذلك المحضر الذى أملاه لؤم الطبع راجع نفسه وضميره فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكل أعداء له وخصوم

ثم كتب توقيعه ! (٢)

ولا ننسى هنا ، والشيء بالشيء يذكر ، أن نذكر بحادث عبد السلام البغدادى المدعو بالركن وإحراق كتبه فى حفل كبير قصصناه فى الكلمة السابقة ؛ فان الحسد كان أيضا العامل الذى أثار بعض الذين فى قلوبهم مرض فلم يطيقوا شهرته بالعلم وتصدره فيه ، فاتهموه بالتعطيل والرجوع الى أقوال الفلاسفة ، فكان ما رواه القفطى من إيقاع الحفظة عليه وعلى كتبه وإحراقها ، ومنها كتاب الهيئة للحسن بن الهيثم الذى وصفه من باء بإثم هذا العمل بأنه الداهية الدهياء والنازلة الصماء والمصيبة العمياء ! على أن حظ الركن تغير بعد هذا من النحس للسعد ، فأفرج عنه وأعيد الى ما كان عليه من المناصب ، واستمر كذلك حتى مات عام ٦١١ هـ .

ومما يتصل بهذا أيضا أمر شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِىّ ، وكان كما يقول ابن أبي أصيبعة (٣) « أوحد فى العلوم الحكمية ، بارعا فى الأصول الفقهية ، مفرط الذكاء جيد الفطرة ، فصيح العبارة لم يناظر أحداً إلا بزه ، ولم يباحث محصلا إلا أربى عليه » . إلا أن علمه وعقله جنيا عليه ؛ فقد أتى حلبا وناظر فقهاءها فأفحمهم ، فشنعوا عليه ، فأراد السلطان الملك الظاهر ابن صلاح الدين أن يقف بنفسه على جلية الأمر ، فعقد مجلسا حشر إليه أكابر المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليشد بعضهم أزر بعض فى مناظرة السهروردى ، إلا أن هذا حجهم وكان له الفلج عليهم ،

---

(١) طبقات الأطباء جـ ٢ صـ ١٧٤ . (٢) ابن خلكان جـ ١ صـ ٤٦٩ طبع بولاق ، والتراث اليونانى صـ ١٦٣ . (٣) طبقات الأطباء جـ ٢ صـ ١٦٧ .

فقرّبه السلطان وصار مكينا عنده مختصا به . عمل المغلوبون على الثأر لأنفسهم وكرامتهم العلمية ، فعملوا محاضر بكفره رفعوها الى صلاح الدين بدمشق ، طلبوا فيها استئصال الشر بقتله حتى لا ينفث إلحاده بكل بلد يحل فيه ! فكان لهم ما أرادوا ، إذ ورد الأمر بقتله ، فا ثر وقد عرف أن لا مناص أن يمنع الطعام والشراب حتى يأتيه أمر الله فى مكان منفرد لا يلقى فيه إنسيا ، فـفعل به ذلك ، ومات عام ٥٨٦ هـ بحلب عن ستة وثلاثين عاما ، ولذلك يلقب بالشاب المقتول .

ومما نقله صاحب طبقات الأطباء من شعره ، ما قاله وهو يجود بنفسه :

قل لأصحاب رأونى ميتا فبكونى إذا رأونى حزنا
لا تظنونى بأنى ميت ليس ذا الميت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصى طرت عنه فتخلى رهنا
وأنا اليوم أناجى ملأً وأرى الله عيانا بهنا
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها لترون الحق حقا بينا
لا ترعكم سكرة الموت فما هى إلا انتقال من هنا
فارحمونى وارحموا أنفسكم واعلموا أنكم فى إثرنا

(الحديث موصول)

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

تفضيل ناس على آخرين فى العطاء

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فأعطاهم وفضّل رجلا منهم عليهم . فقيل له فى ذلك ، فقال : كل القوم عيال عليه .

نقول : فضله النبى صلى الله عليه وسلم لأنه جواد يتعهد ذوى الحاجة من قومه بالعطاء .

وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، المؤلفة قلوبهم ، فأعطى الأقرع بن حابس التيمى وعيينة بن حصن الفزارى مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس السلمى الشاعر خمسين ؛ فشق ذلك عليه ، فقال أبياتا وأنشده إياها ، فقال :

أيذهب نهبى ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع
ولا كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت غير امرئ منهم ومن تضع اليوم لم يرفع

فقال رسول الله لبلال : اقطع عنى لسان العباس ، فأعطاه حتى أرضاه .

كلمات فى الموضوع نفسه

نشرنا فى هذا العدد ما تفضل بارساله إلينا فضيلة الاستاذ الألمعى الشيخ محمد يوسف موسى ، متابعا ذكر ما صادفه العلم والفلسفة من العقبات فى عهد التدهور عند المسلمين ، وإنى لأحيي فيه فضيلتى الانصاف والاطمئنان الى الحقيقة ، فهو بهذا الوصف يمثل السكينة الفلسفية التى يدرِّسها ، ويخدم العلم الذى وقفِ حياته لإعلاء كلمته .

وقد لاحظ فى مقاله المنشور اليوم على قولى فى مقالى السابق : « فاذا كان دين فى الأرض تأبى طبيعته أن ينشأ فيه اعتزال وعلم للكلام فهو الاسلام » فقال فضيلته : إن ما فى القرآن مما يوهم التشبيه والتجسيد ، وما فيه مما يفهم منه الجبر والاختيار معا الخ ، يوجب أن يكون فيه علم للكلام .

نقول : لو كان فى الاسلام ما يوجب علم الكلام ، أو يسمح به ، لما كان هو الاسلام الذى أراد الله أن يجمع عليه كلمة الناس ، فلا يتفرقون فيه . قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء » ؛ وذم المتفرقين فى الدين فقال : « فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً ، كل حزب بما لديهم فرحون . فذرهم فى غمرتهم حتى حين » .

يقول قائل إذا كان التفرق فى الدين يعتبر خروجا منه فى نظر الاسلام ، فما السبيل الى معالجة ما يوهم التشبيه والتجسيد فى القرآن كقوله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله » وما يوهم أيضا التناقض ، كالآيات الدالة على حرية الاختيار والجبر معا ؟ الخ .

نجيب على هذا السؤال بسؤال آخر فنقول : « إذا كان فى القرآن آيات توجب الاعتزال وعلم الكلام ، فكيف مضى على المسلمين الاولين نحو مائة وخمسين سنة ولم ينشأ فيهم اعتزال ولا علم للكلام ؟

مائة وخمسون سنة نشأ فيها الدين ، وتألفت جماعة المسلمين ، ووزعت الأعمال على العاملين ، فانتدبت جماعة لجمع اللغة ، وأخرى لتفسير الكتاب ، وثالثة لجمع الاحاديث ، وغيرها لنشر الدعوة ، وحماية الحوزة ، وفتح البلدان ، وتنظيم سياسة الملك الخ الخ ، كل هذا ولم تنشأ فيهم ناشئة خلاف فى فهم غوامض الدين ، فهل كان تمام الإسلام متوقفا على قيام واصل بن عطاء يجادل أستاذه الحسن البصرى فى الجبر والاختيار ؟

الجواب : نعم مضت هذه المائة والخمسون سنة ، وهى العهد الذهبى للإسلام ، ولم تنشأ ناشئة خلاف فى غوامض الدين ، لأنهم كانوا فاهميه على أكمل وجه .

اعترضتهم كما اعترضت من جاء بعدهم هذه الآيات الموهمة للتشبيه والتجسيد ، فلم يعيروها التفاتا ، لأن الكتاب أكد لهم بأن « ليس كمثله شيء » ، ومن كان كذلك فلا يكون له أعضاء ولا يكون متجسدا ، فصرفوا كل ما صادفوه مما يوهم الأعضاء والجسد الى خصائص اللغات البشرية من التشبيه والمجاز والاستعارة ؛ فما من لغة فى الأرض إلا وفيها من هـذه الأنواع حظ كبير ، وقد أفردوا لها علما سموه (علم البيان) وبالفرنسية La Réthorique ، وما كان هذا شأنه أغنت قواعد اللغة عن الثرثرة فيه .

أما ما فى الكتاب من إثبات الجبر والاختيار معا كقوله تعالى : « خلقكم وما تعملون » و « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » و « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » و « فاستحبوا العمى على الهدى » ، مما يثبت الاختيار والجبر معا ، فقد نظروا فيه ولم يتناولوه ببحث ، عملا بالقاعدة الاسلامية الكلية وهى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (أى لا يمكن الخلاف فيها) هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات (أى تشتبه مدلولاتها ، وتختلف الافهام عليها) ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » .

على هذه القاعدة سار المسلمون الأولون ، وهو أدب يعتبر اليوم من أسمى درجات المعرفة ، فالكون عظيم ، والقوى التى تعمل فيه لاحد لها ، والعقل قاصر ومحدود ، فلم يحاولوا أن يتخطوا سياج هـذا الحظر ، فتركوه الى ما كلفوا بعلمه والعمل به من الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية ، فتأدوا الى أعلى ما تتأدى اليه أمة من بسطتى العلم والعمران .

أنا أعلم أن للعقول مطامح لا يستطاع كبتها ، فهى لا تفتأ تشرئب الى ما حجب عنها علمه ، عساها تبلغ ما يبل أوامها منه . فلتعمل على شاكلتها ، ولكن لحسابها لا لحساب الدين الذى لم يكلفها إياه . وقد أفنى رجال من علماء الكلام أعمارهم فى تحقيق هذه الغوامض فماذا حصَّلوا ؟ لا شيء غير تفرق الكلمة ، وتصدع الوحدة ، وبلبلة العقول !

إن آية المحكم والمتشابه فى القرآن لا تسمح بنشوء علم للكلام فى الاسلام ، تختلف عليه المذاهب ، وتتشعب فيه المفاهيم ؛ لأن هذا العلم لا يوجد إلا حيث يوجد ما نهى الله عن محاولة تأويله . ولا يعتبر هـذا صدا منه للعقول عن الجولان فى المجهولات ، ولكنها من أصول (حكمته) التى بزت كل فلسفة فى الأرض ؛ فقد تبين أن كل تلك المجهولات هى مما لا تستطيع العقول إدراكه ؛ وقـد اعتركت الأمم الكتابية نحو ألفى سنة فى الوصول منها الى ما يثلج عليه الصدر ، فلم تحصل منها على طائل ؛ وقد أدركت الفلسفة أخيرا أنها مسائل غير قابلة للحل فوضعتها جانبا . ولا تحسبن أن المجهولات التى لا تحل قاصرة على الشئون الدينية . فى الطبيعة نفسها أمور غير قابلة للحل : هل الوجود محدود أم لا نهاية له ؟ لا يمكنك أن تعقل واحدا من

الأمرين . يقولون إن الكواكب أجزاء انفصلت عن كتلة الشمس ، فوقفت على بعد منها ، ثم أخذت تدور حولها ؛ فأى قوة فصلتها عنها ؟ ولأى علة وقفت على بعد منها ؟ إن عللنا ذلك بالجاذبية العامة ، فما الذى دفعها لأن تدور حولها . قال العلامة (نيوتن) الفلكى العبقرى : لا توجد علة طبيعية يمكن تعليل هذه الحركات الكوكبية حول الشمس بها ، فلا محيد عن القول بأن القدرة الإلهية هى التى قدرت ذلك عليها .

نعود الى ما كنا فيه فنقول : إن مضى مائة وخمسين على أمة ، أتمت فيها نشوءها وتطوراتها الاجتماعية والأدبية ، ووصلت فيها الى أبعد فتوحاتها العالمية ، وهى طوال ذلك العهد الذهبى لا تحتاج فيه لعلم الكلام ، لأدل دليل على أن هذا علم دخيل لا فائدة له ، لا فى تقوية إيمان ، ولا فى تأييد عقيدة ، ولا فى إنارة طريق ؛ فقد مضى خير ما كان للأمة الاسلامية من بسطتى السؤدد والدين فى تلك المائة والخمسين سنة ، فلما نشأ ذلك العلم نشأت معه الخلافات فى أخص الأمور الدينية ، وتطور حتى سبب ظهور الخوارج .

كل هذا كان ، ولست بقصير النظر لأقول إنه كان يمكن اتقاؤه ، ولكنى أقول إنها أعراض أدبية تعترى الأمم فى بعض أدوارها ، فإما تنجو منها وإما تقضى عليها ؛ وقد نجا المسلمون منها بفضل (الحكمة) القرآنية التى تمسك بها أهل السنة . يحتمل أنه صدر منهم بعض التشديد ، فأى تشديد لا يغتفر حيال جائحة الاعتزال وعلم الكلام فى الأمم ؟

إن هؤلاء وصلوا الى السلطة على عهد المأمون ، فما تركوا عالما فى المملكة الاسلامية إلا وأجبروه على أن يقول (القرآن مخلوق) ، ومن لم يقلها ضربوه بالسياط غير مراعين لعلمه وسنه حرمة ، وكان الامام احمد بن حنبل أحد ضحاياهم .

إن الأمة التى تقع فى مثل هذه المحنة تعذر إن ثارت على هؤلاء المتكلمين العاطلين فأبادت خضراءهم ، فكيف لو اقتصرت على مكافحتهم كفاحا أدبيا ، وأحرقت كتب عدد محصور منهم ؟

اللهم إن هذا حلم عظيم من أهل السنة ، حصّل لهم بفضل (الحكمة) القرآنية التى تبيح حرية البحث ، ولا تعاقب على سوء الفهم .

وفى هذه المناسبة ظهر رجحان الحكمة القرآنية على الفلسفة اليونانية بدليل محسوس . ألم تر الأخيرة كيف حملت الناهلين من حياضها على أن يحملوا الناس على مذهبهم بالقوة البالغة أقصى درجات الوحشية . وهو أمر لم يحصل من أهل الحكمة القرآنية لما كان لهم الحكم ، فقد نظروا فى القرآن والسنة ، وفيما بين أيديهم من الحوادث ، فاتفقوا تارة واختلفوا تارة أخرى ، فلم يؤثر اختلافهم على ما بينهم من وحدة ، لأن طائفة منهم لم تقل إنها احتكرت الفهم لنفسها ، وأعطيت حرية التحكم فى عقليات الناس بالقوة ؛ فأين هذا الأدب العالى الذى أثمرته لأهلها الحكمة القرآنية ، من تلك الرعونة الجاهلية التى حملت أنصار الفلسفة اليونانية على

ضرب علماء أمة برمتها بالعصى ، لأنهم لم يقولوا مثل قولهم فى مسألة لا يوردها على نفسه امرؤ له مسكة من عقل !

المعايير التى يحكم بها على الأمم .

إذا أريد الحكم على أمة من الأمم فى أية ناحية من نواحى النشاط العقلى ، فلا يجوز أن تعتبر الحوادث الافرادية التى صحبت تطورها فى اتجاهها ، لأن تلك الحوادث لا بد منها حتى فى أرقى أدوارها ، وإنما يجب أن تعتبر الغاية التى وصلت اليها فى تكملها ، إن كانت بعيدة أم قريبة ، كاملة أم ناقصة ، مثمرة أم عقيمة .

وقد نظر علماء الفرنجة فى المجتمع الذى ألفه الاسلام ، من نواح كثيرة ، وأخصها الناحية الثقافية ، جارين من ذلك على القاعدة الأصولية من عدم الالتفات الى الحوادث الافرادية ، بل الى النتيجة النهائية ، فدهشوا مما رأوا من سرعة خطواتهم فى هذه السبيل ، حتى قالوا إن أمة من الأمم لم يُحفظ عنها أنها طفرت هذه الطفرة الى الغايات القصية من الثقافة الانسانية ، فبنوا حكمهم عليها من هذه الناحية على النتيجة النهائية ، لا على حوادث إفرادية لا أثر لها فى تأخير تلك النتيجة أو صدها . قال العلامة دريبر فى كتابه : (المنازعة بين العلم والدين) وهو مدرس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة :

« إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) أى بعد موت محمد بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح .

« ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور (٧٥٣ – ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة فخمة ، فلم يأل جهدا فى بذل الوسع فى نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما تولى حفيده الرشيد سنة (٧٨٦) م ، اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية ، الخ »

كان يستطيع الأستاذ دريبر أن يشوه روعة هذه الحركة المباركة بذكر ما قام به بعض الجامدين من الدعوة الى معاداة هذه العلوم ، ولكن البروفسور دريبر يعلم أن كل حركة فى مجتمع لابد من أن يصحبها عوامل تثبيط من نواحيها التى بقيت جامدة لم تتأثر بالحياة الجديدة فى ذلك المجتمع . وهذه العوامل لا يجوز الالتفات إليها إذا كان مجموع الجثمان الاجتماعى لم يتأثر بها ، واستطاع أن يهضم كلما تناوله وأن يحيله الى مادته وازداد به قوة وتضخما .

دريبر يعرف أن الذين حرموا تعلم الحساب جاءوا بعد أن أصبح المسلمون أئمة العلوم الرياضية ، واخترعوا علم الجبر بقرون عديدة ، ولو كانوا عاصروا ظهور هذه الحركة لما عبأ بهم أحد ، لأنهم لم يستطيعوا أن يشعروا المجتمع بوجودهم ، فضلا عن التأثير عليه بخزعبلاتهم ؟

محمد فريد وجدى

مذاهب العرب فى كلامهم

— ٥ —

أسلوبهم وطريقة تفكيرهم

لما قامت دولة بنى العباس تهيأت أسباب التحول والتغير فى أسلوب العرب وطريقة تفكيرهم ، وكانت مقومات ذلك لا تقتصر على الجنس والسلطان وحدهما ، وإنما جاءت من العلم والفن أيضا ، فظهر قسم كبير من الصور البيانية وألوانها فى تعبيرات العرب أنفسهم ، بعد ما صقلها العلم وهذبها العرفان ، فانتظم صدر الدولة العباسية من فحول القول ، وفرسان البلاغة ، أئمة مبرزين ، وكان الأمراء والقادة يستبقون فى هذا المضمار ، ويتشبهون بمن سبقهم من الأبيناء والبلغاء ، فنبغ فيهم من الكتاب والخطباء والشعراء أمثال عبد الحميد وابن المقفع وبشار ومروان ابن أبى حفصة وأبى نواس والجاحظ وعمرو بن مسعدة . وهذه الغيرة التى تتأجج فى صدور الأمراء والبلغاء على اللغة ، وهى أثمن تراث عن الآباء ، كان يعترضها عوامل أخرى تعمل ضدها وتكيد لها أيما كيد ، يحمل أصحابها على ذلك عصبيتهم الجنسية ونعرتهم الأجنبية . من مظاهر هذه العوامل الكيدية الاستكثار من الدخيل فى اللغة لأصغر حاجة عارضة ؛ فلو فتح أحدنا معجما لغويا لاطلع فى كل صفحة منه على كلمات كتب الى جانبها : فارسى معرب . ولست أنكر أن الاسلام اقتضى أن يدخل الى الفارسية عدد كبير من الألفاظ العربية وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات ، حتى لا تكاد تفتح كتابا فارسيا حتى تقع عينك فى كل صفحة منه على كلمات كثيرة تمت بصلة ظاهرة الى اللغة العربية .

هذا أمر طبيعى يحدث عادة بين أمم اتصلت اتصالا اجتماعيا ودينيا ، وتعلم بعضهم لغات بعض ، وعاشوا على صعيد واحد من الأرض ، ولكن كان من أبناء الملل الأجنبية من التحقوا بالاسلام ولم يستشعروه ، وإنما دفعهم اليه مشايعة الكثرة ، والتقرب من رجال الدولة ، فهؤلاء لم يكن لهم من الغيرة على الدين ما يحملهم على المحافظة على جوهره خالصا من الشوائب ، ولا على اللغة ما يجعلهم حريصين على صفاء معينها من الدخيل ، فكما وضعوا فى الدين ما ليس منه ، وأولوا من نصوصه ما لا يقبل التأويل ، لينفق وما ألفوه من الدين الذى كانوا عليه ، أنحوا على اللغة بالاستكثار من الدخيل لغير حاجة ، تحت حماية ما التحقوه من الاسلام ، وهم لأجل أن يلهوا الناس عن دخيلة نفسياتهم آتوهم كثيرا من وسائل الصناعات ، وأسرار الفنون ، ووقفوهم على عيون مؤلفاتهم ، وما فيها من ثمرات تفكير حكمائهم وعلمائهم ، ناسبين اليهم السبق الى أكثر ما أوتوه من وصايا دينهم وتعاليمه .

صحيح أن هذه الحضارات قد أفاد العرب منها ، ولكن هذه الفائدة لم تكن مقصودة عند هذا الفريق ، وإنما كان المقصود صبغ كل شىء بلون أجنبى ، فدخلت فى اللغة ألفاظ وأساليب ليست منها ، وتغيرت طريقة التفكير تغيرا تاما .

وما كان بالمسلمين من حاجة لمن يحثهم الى الأخذ بكل أحسن من كل ما يصادفونه ، وتلقف كل علم جديد مما يجدونه ، فان دينهم قد بالغ فى تحضيضهم على تصيد العلم والحكمة والوسائل النافعة من جميع مظانها حتى ولو كانت لدى المشركين ؛ فان خلفاء المسلمين كانوا أول من اهتم بتلقف العلوم والفنون الموجودة لدى الأمم ؛ وكان أول من فتح كنزها الخليفة المنصور ، فقد أرسل فى طلب العلماء والفلكيين ، وقدم أهل العلم غير ناظر لجنس ولا متعصب لعقيدة ، وإنما كرامة الناس عنده لعلمهم لا لمذهبهم . وحسبك أن تعلم ما صنع مع آل بختيشوع وما مكن لهم فى الأرض ، وقدم لهم من نشب ، وأباح لهم من سلطان ، لتعلم مكان العلم من نفس الرجل وحبه للعلماء وتقديره لهم . فلما كان حفيده الرشيد وقامت فى عهده دولة البرامكة وهم من رءوس فارس ، قام للعلم فى عهدهم دولة ضخمة وسعت الناس جميعا ، وقد تنافس فى ذلك الرؤساء والأمراء ، وفتحوا للعلم دورهم وأيديهم ، وفعل البرامكة فى ذلك ما لا يصدر مثله إلا عن عظماء الملوك . فلما جاء حكيم الخلفاء وسيد العلماء عبد الله المأمون ، جعل العلم حلية الإمارة ، وطريق الوزارة ، وسبيل الرزق ، وحرفة الشرف ، وجلب العلماء من أطراف الأرض ، وأقام لهم بيوت الحكمة ومعاهد الدرس ، وفسح فى أرزاقهم ، ومد فى سلطانهم ، وجعل العلم وسيلة القربى اليه ، وشفاعة الذنب لديه ، وقرب بين العلوم الشرعية والحكمية ، ومزج الحضارة الأجنبية بالحضارة العربية ، ولم يباعد بين القرآن والعلم ، فنظر الناس نظرا جديدا ، واتجهت أفكارهم اتجاها بعيدا ، فأصبح العربى جديدا فى فكره بعيدا فى تصوره ، دانت له أسباب العلوم ، ومكنته من نفسها أزمة الفنون ، ففهم المسلمون العلوم التى قرأوا ، وعدلوا فيها ، وقوموا منها ، وأضافوا اليها ، واخترعوا فيها بدعا جديدا ، كل أولئك غير فى نظام القول نثره وشعره ، وغير من طريقة التفكير فى أنماطها وأشكالها ، وتغير أسلوب التعبير تبعا لذلك حتى يوافق القول ما تجيش به النفس تعبيرا صحيحا . وهذا الذى عهدناه فى تراث بنى العباس ، فان شعراءهم وكتابهم وخطباءهم كانوا يرسلون القول ليصوروا به ما فى نفوسهم وإن لونوه ألوانا مختلفة ، أو قل إنهم كانوا يرسلون نفوسهم على عذبات ألسنتهم ، وأسلات أقلامهم ، فاذا وجد منهم من يرائى فهو قُلّ لا يعتد به ، ولا يدخل فى حساب .

وثالثة أن العلوم والفنون لما وضعت قام العلماء يضعون لها مصطلحات ، ويسمون لها أسماء ، وخلعوا عليها من السمات والصفات ، ما باعد بينها وبين ما ألفه العرب فى قديمهم ، فكان ذلك باعثا آخر على التغيير فى الصور والأشكال ، واقتبس الكتاب والشعراء من ذلك فوضعوه فى أفواههم ، إما تظرفا ، أو للحاجة اليه ، أو للتقرب من أهله ، أو للنصرة والمشايعة ، وعبوا من ذلك عبا كبيرا .

أما الجديد الذى انحدر الى اللغة من بلاغة الفرس وحكمة الروم ، وأخبار الهند ، فقد ملأ القوم به أقلامهم وأفواههم ، ونثروا منه فى كل مكان .

هـذه الأسباب كلها قد اجتمعت فغيرت من أسلوب العرب وتفكيرهم ، وخلقت منهم فى ذلك خلقا جديدا .

غير أن هنالك فى كل أمة طائفة تعمل على بقاء القـديم ورسوخ أقدامه ، وتوصى عليه حتى تتخذ منه دينا لها ، وغاية لعملها ؛ تدفعها الى ذلك الغيرة على تراث الأولياء ، وتأخذها العزة لـكل ما اعتاد الآباء ، بل يدفعها التعصب أحيانا فتجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا ، فهذا الجاحظ يحدثنا أنه ليس فى الـكلام العربى ما يوصف بأنه سخيف ، فان سخيف الـكلام إن كان يقتضيه المقام فهو كريم فى جوهره نبيل فى معدنه . ثم هو يقول : « ليس فى الأرض كلام هـو ألذ فى الأسماع ، وأمتع للأفهام ، وألصق بالقلوب ، وأنفع للعقـول السليمة ، من سماع كلام الأعراب العقلاء الفصحاء » .

وليس من شك فى أن الرجل قد دفعه الى هذا ذوقه ، فهو قد تذوق لغة العرب وعالجها حتى فهم كثيرا من أسرارها ، فليس هنالك كلام يقـع من نفسه ويفعل فى لبه مثل ما يصنع كلام العظماء من الأعراب ، وإنما قد جاء خطؤه من أنه جعل القضية عامة ، فإن الفارسى والفرنسى والإنجليزى يستمتع جميعهم بقول فصحائهم ، كما يستمتع الجاحظ بقول الأعراب تماما ، فلو أنه قصر كلامه على العرب وحدهم لـكان أسـلم له . فهذه الطائفة الغيور على اللغة ، الحريصة على سلامتها ، عملت على تخليص القول مما ليس عربيا ، وناصبت كل أثر يضم بين أحنائه ألفاظا أعجمية ، أو أسلوبا غير عربى ، ورمت أهله بالعى والعجز عن مجاراة الفصحاء ، ومسايرة البلغاء ، ومدوا فى أسباب ذلك حتى قلدوا العرب فى ديباجتهم وطريقتهم وتفكيرهم ، وأدخلوا فى روع الخلفاء والأمراء والجمهور أنهم وحدهم الخطباء والشعراء والـكتاب ، ومن عداهم عيى أو أعجمى ، تتغلب العجمة على ألفاظه ، وتتسلط اللـكنة على لسانه ، فإذا أراد إنسان أخذ القول صافيا والجوهر كريما ، فـلا يطلبه من مثل هؤلاء ، فانه ليس من تجارتهم ولا هو من بضاعتهم ، وإنما يؤخذ من قادة الـكلام ، وأمراء البيان ، الذين ذل القول لهم فتحكموا فيه ، وتمكنوا منه ، فقـدموا وأخروا ، وذيلوا ورفلوا ، ووصلوا وفصلوا ، وعرفوا لـكل حرف سره ، ولـكل إشارة بيانها ، فهم صيارفة القول وأطباؤه ، وهم أبناء البيان وآباؤه ، وقد خلبوا بذلك عقل كل امرئ فأصبح لا ينـكر الواحد منهم أن يمـدحه شاعر فيقدم لمدحته بتشبيب ليس بينه وبين المدح صلة ، أو بذكر أمكنة لم يرها ، وقد طبعوا الجمهور على ذلك فأصبح الشاعر عنده من ابتعد عن الألفاظ الدخيلة ومصطلحات العلوم ، وابتعد عن تعبير الفقهاء ، وكان بيّن الغرض ، بعيدا من التعمق والتعقيد ، وقاسوا الشعراء بهذا المقياس ، ووازنوا بينهم موازنات ملأوا بها بطون الـكتب .

وممـا يوجب النظر حقا أن الخلفاء والرؤساء مع تعلقهم بالعلوم ، وشغفهم بالنظر ، كان ميلهم مع هذا الفريق يدفعهم اليهم صفاء معين العربية فيما يتعلق بلغة الأدب فيها ، كأنهم رأوا أنه يجب أن يكون للبلاغة أسلوبها ، وللعلم أسلوبه ؟

محمد ناصف

من وحى الشريعة الخالدة

ما أحسب فيما أحسب أن أمة انحل رباط الأخلاق فيها وشاع فى جنباتها ريح الملق والرياء والبخل والكذب إلا أسرع إليها الفناء ، وحاق بها الويل . فالبخل والكذب من الآفات الأخلاقية التى ما برحت سوسا ينخر فى جسم المجتمع ، وداء عياء استحال على رواد الأخلاق وأساتها أن يخففوا من حدته وأن يكسروا من شرته .

وما كان البخل الأخلاقى إلا نكبة أتت على الانسانية فى جوانبها ، فليس البخل هو الشح بالمال عن الخلقاء به والمفتقرين إليه فحسب ، بل البخل شىء آخر وراء ذلك : هو شبح ذلك الفزع الذى أخذ على البخيل متنفسه ومطلع أمله ، فالمصاب بهذا الداء ما هو إلا لونة فى هذا المجتمع قد ند عن قواعده ونجم بين أطوائه نجوم الشجرة الجرداء تعترض الناس فى غدواتهم وروحاتهم ، فلاهم يستمرئون ثمارها ، ولاهم يتفيئون وارف ظلها .

والبخل يورث صاحبه سوء القالة ، فتمتد إليه الألسنة بما يكره وما لا يحب أن يكون ، فهو مجترئ على اقتراف تلك المأثمة الأخلاقية راض بها ، منشرح لها ، ولكنه من ناحية أخرى يحب ألا تبدو فيه تلك النقيصة ، وهو يعمل على عكسها . وما أصدق قول الرسول الأعظم : « يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل القتل » .

فقد كشف هذا الحديث عن المآسى الانسانية ترتكب فى أخريات الزمن فتسلك فريقا من الناس فى مآثمها ولوناتها ، وتكون أداة الى فساد هذا المجتمع ، والكذب واحدة منها .

وللكذب كذلك من المساوئ والمثالب ما لو أحصيت لأربت على كل شر ومأثمة .

يكذب الكاذب فيتمثل فى قلبه أن أكذوبته مطية ذلول الى مطلبه ، فإذا قضى منها وطره ، وبلغ حاجته ، فقد شفى نفسه ووصل الى متمناه ، لكنه يترك من خلفه المآثم غلا يحيط بعنقه ، وقيداً يصفده ويجعله فى المجتمع قعيدا كسيحا ليس له فيه مبتغى ولا به إليه مرد ، وهو مع ذلك كله يستمرئه ويستطيبه ، ويأخذ نفسه بالمضى فيه والسير على نمطه .

حكى صاحب البيان والتبيين ، وهو العلامة أبو بحر الجاحظ ، أن هذه الحكمة وجدت فى كتب الهند : « ليس لكذوب مروءة ، ولا لضجور رياسة ، ولا لملول وفاء ، ولا لبخيل صديق » . وقال قتيبة بن مسلم : « لا تطابن الحوائج من كذوب ، فانه يقربها وإن كانت بعيدة ، ويبعدها وإن كانت قريبة ، ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة ، فانه يقدم حاجته قبلها ، ويجعل حاجتك وقاية لها ، ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك » .

وحسب الكذوب أنه لا ينفك عنه أمران ماحيي : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .
وما أحسن قول ابن الجهم :

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق مايقول فحيلتى فيه قليله

قال الله جل ثناؤه : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

وأخرج الامام أحمد وأبو داود فى صحيحيهما عن سفيان بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » . وأخرج الترمذى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ماكان خلق أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ، ولقد كان الرجل يحدث عند النبى صلى الله عليه وسلم بالكذبة فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة » . وأخرج الترمذى أيضا عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به » .

وعن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله عنها ، وكانت من المهاجرات الأول اللاتى بايعن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ويقول خيرا ويتمنى خيرا ، قالت : ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس كذبا إلا فى ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها » . وموعدنا بالشرح والبيان الأعداد القادمة ؟

عباس طه

كلمات متفرقة

قال ابن الحوارى قلت لسفيان : بلغنى فى قول الله عز وجل : « إلا من أتى الله بقلب سليم » ، أنه الذى يلقى الله وليس فى قلبه أحد غيره . قال فبكى سفيان وقال : ماسمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا .

كان ابراهيم النخعى ، العالم التابعى المشهور ، فى طريق ، فلقيه الأعمش فانصرف معه ، فقال له الأعمش : يا إبراهيم إن الناس إذا رأونا قالوا أعمش وأعور .

قال ابراهيم : وما عليك أن يأثموا ونؤجر ؟!

قال الأعمش : وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟!

فى عالم المؤلفات الجديدة

الرسالة المهذبة فى تفسير آيات من سورة الحج

تقع هذه الرسالة فى ٧٢ صفحة ، وموضوعها كما يدل عليه اسمها تفسير آيات من سورة الحج ، وقع عليها اختيار فضيلة مؤلفها الأستاذ الموقر الشيخ محمد يونس العادلى ، إشادة بذكر البيت الحرام ، وتنويها بفضائل الحج . وقد افتتحها بمقدمة غاية فى الافادة فى مبادئ علم التفسير ، جمع فيها ما يجب أن يعرف عن هذا العلم ؛ وقد نقل تعريف أبى حيان له وهو : « علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتمات لذلك » .

وقد تكفل فضيلة الأستاذ ببيان المراد من هذا التعريف وغيره ، ثم مضى فى تفسير الآيات التى اقتبسها ببيان لم يسبق اليه ، فأتى بالآيات وتصدى للكلام عنها من نواحى اللغة والنحو والبلاغة والمعنى والأحكام والأصول وكل ما تحتمله ؛ فجاءت رسالة كثيرة الفائدة ، جمة المزايا . فنشكر لفضيلته هذه الخدمة العلمية ، أقدره الله على أمثالها .

كتاب كشف الظنون

إن الخدم التاريخية التى أداها هذا الكتاب للمطبوعات العربية لا يمكن تقديرها ، فما من مؤلف فى فن من الفنون العربية إلا واستعان به فى تحقيق أسماء الكتب ومؤلفيها وسنى وفاتهم ، وهذا توفيق عظيم رزقه مؤلفه ملا كاتب جلبى ، أراد الله له به وفرة الأجر وجمال الذكر .

طبع هذا الكتاب مرارا على نقص فيه ، لم يستطع ناشره أن يستدركه ، حتى قيض له اليوم وزارة معارف الدولة التركية ، فأصدت أمرها للمطبعة الأميرية باستنبول بطبعه مضافا إليه بقية له بخط المؤلف نفسه ، وخمس تكملات قام فضلاء نسجوا على منواله ، فأصبح هذا الكتاب زاخرا بأسماء الكتب العربية بحيث لا يمكن أن يستغنى عنه أديب أو مؤلف أو كاتب .

وقد تم طبع المجلد الأول منه فى نحو ألف صفحة ، وبدئ فى طبع المجلد الثانى . فنثنى على همة سعادة وزير معارف تركيا ، راجين أن يعيد الله السلام الى العالم ليتفرغ رجال الإصلاح الى متابعة أعمالهم الثقافية .

hears the prayers, both of the most cultured and the most ignorant, requiring nothing but a pure heart and sincere motive, is the chief characteristic of the religion of Islam. The absence of the priest in the religion of Islam is one of the reasons which helped Moslems to be better acquainted with their religion.

Supposed Divinity of Jesus

Modern Christian Divines agree with Islamic views as to the supposed Divinity of Jesus.

The following extract is taken from 'The Graphic' of August 20th, 1920:

"During the last few days orthodox Christianity has received the greatest blow it has suffered for many years. Outside the Church, scores of people, learned and skilled in the ways of theology, have been attempting to prove, that the basis of Christianity was all wrong, and that modern science had destroyed its very foundation. This time, though, a blow has come from the inside itself; and three highly-placed theologians, all avowed members of the Church of England, in which they live, preach and have their being, have united, to use words which lay men take to mean, that Christ was not the son of God, but a Palestine Jew....

"Now, what Renan argued in 'The Life of Jesus,' what all scientists outside the faith have expressed in learned terms, has been suddenly put into a bomb which, thrown at the Modern Churchmen's Congress at Cambridge not a week ago, has staggered the Anglican Church so much, that the reverberations of the shock will be felt for years... Dr. Rashdall, the Dean of Carlisle, Dr. Bethune-Baker, Lady Margaret Professor of Divinity, the Rev. R. G. Persons of Rusholme, have stood up at an Anglican Conference, and—if their words have been reported rightly— denied the Godhead....

"'Christ was not divine but human,' said Dr. Rashdall. 'I do not for a moment suppose, that Christ ever thought of himself as God', said Dr. Bethune-Baker. 'Jesus was a man, genuinely, utterly, completely, unreservedly human,' said the Rev. R. G. Parsons—'A Palestine Jew who expressed himself through the conditions and limitations of life, and though peculiar to his own time."

These three men are not people whose opinions can be disregarded, even by the most orthodox of all Christians. They are men of the highest

to life, but he has to pray to God, and thank Him on being heard. When he was asked, he admitted that such miracles could be done only through fasting and prayer to God.

Speaking of himself, Jesus also is reported to have said :

"Foxes have holes, and the birds of the air have nests, but the Son of Man hath not where to lay his head."

In another instance he is reported to have said :

"Of myself I can do nothing; of that day and that hour knoweth no man.... neither the son."

Moslems fail to understand, how, in the presence of these admissions on the part of Jesus, divinity can still be attributed to him. This is a problem which can only be solved by the words said of Jesus :

"I thank Thee, O Father, Lord of heaven and earth, that Thou hast kept these things from the wise and prudent, and hast revealed them unto babes."

Priestcraft and Islam

Islam is the Faith of works, of approach to God through self-endeavour, and not through any intermediary. In Islam there is no such teaching as that of "The Holy Spirit descending in the greatest degree to the elected Pope, and in lesser degrees to bishops, deans and clergy." That every soul must labour for its own salvation, is the keystone of Islamic teaching. Islam has no monasticism, no apostolic succession, no body of men whose very livelihood depends upon their claim that, after their ordination as priests, they have the Spirit of God in them, and that, as Jesus was the chief intercessor between God and man, so the priest is the intercessor between the people and Jesus and the saints. While other religions believe, that man cannot approach God, and he cannot even confess his sins to Him, but that he must confess to a priest, who having the "Spirit of God, has the power to assure him that he is forgiven." Islam teaches that "He who is best among men is he who does most good works." In such a religion the priest is not needed. Truly, mosques require attendants, and some men love to devote their lives to religion; but the doctrine of priesthood itself is not, and never has been found, in the religion of Islam. With Islam, a man may attain to spiritual closeness to God, not through his having been ordained a priest, but by living a life of religion, piety and good works.

The simple worship of the One True God Who rules over all, Who

his disciples, when he was with them. Fortunately the narrative of the Teacher of Nazareth as reported in the four gospels, though in the consideration of Islamic judgment not genuine in its entirety, still contains sufficient evidence to corroborate the statement of the Koran. The following are the sayings of Christ about himself as reported by the Evangelists :

"I do nothing of myself" (John viii. 28).

"My Father is greater than I" (John xiv. 2).

"This is life eternal, that they might know Thee, the only true God, and Jesus Christ whom Thou hast sent" (John xvll. 3).

"The Lord our God is one Lord" (Mark xvii. 29).

"Thou shalt worship the Lord thy God, and Him only shalt thou serve". (Matt. iv. 10).

"Why callest thou me good ? None is good save one, that is God"

"I am not yet ascended to my Father ; but go to my brethren and say unto them, I ascend unto my Father and your Father, and to my God and your God".

"I by the finger of God cast out devils" (Luke x1. 20.)

"Father, I thank thee that thou hast heard me, and I knew that Thou hearest me always ; but because of the people which stand by I said it, that they may believe that Thou hast sent me" (John x1. 41, 42.)

"The works which the Father hath given me to finish, the same works that I do, bear witness of me, that the Father hath sent me" (John v. 36.)

"If anyman hear my words and believe not, I judge him not ; for I came not to judge the world" (John X11. 47.)

"(Jesus then went a little further, fell on his face, and prayed, saying.)

"O My Father, if it be possible, let this cup pass from me : nevertheless, not as I will, but as thou wilt" Matt. XXVI : 38, 39.)

"Eli, Eli, lama sabachthani—My God, my God, why hast Thou foresaken me." (Matt. xxvii. 46)

"Father, into my hands I commend my spirit," (Luke xxiii. 46)

These expressions confirm to a great extent the Islamic notion of the Holy Jesus Christ, namely, that he was a true servant and a messenger of God, and one of His humble creatures, and never a god. Jesus admits his limited knowledge and power. He looks to God even for his daily sustenance. He expresses his complete submission to the divine will. He disavows all goodness for himself, when speaking of God. A messenger, no doubt, he was of God. He spoke to the children of Israel what he heard from God. He has been reported to perform certain miracles, but these he performed by the help of God. He is said to have raised Lazarus

religion knew of no Saviour, besides the one God. He was their Saviour and Redeemer. See Isaiah, 43 : 3, 'I am the Lord thy God, the Holy One of Irael, thy Saviour' and Isaiah 42, v.8, 'I am the Lord that is my name : and my glory will I, not give to another, neither my praise to graven images,' and again Is. 43 : 11. 'I, even I am the Lord, and beside me there is no Saviour', and Is. 44 : 6. 'Thus says the Lord, the King of Israel, and his redeemer, the Lord of hosts. I am the first, and I am the last ; and beside me there is no God'. There are many other passages in Isaiah, and other Old Testament books which insist that there is no God, but the one God, and He is the Saviour and Redeemer, and there is none beside Him. The Christians who take Christ for their Saviour and Redeemer are, therefore, outside of the promise of the Scriptures which they themselves acknowledge to be the word of God. But all this with the many passages in the New Testament, where Christ distinctly says that he is not God, does not convince them."

What Jesus Says About Himself in Relation to his Alleged Divinity.

According to the Koran,[1] Jesus, on the day of Judgment, will be asked by God, whether he told his people to consider him and his mother[2] as two Gods, besides God Himself. Whereupon, Jesus not only disavows his claim of divinity, but also asserts he never preached such a doctrine to

(1) Chap. VII : 116-118.

(2) From the Koranic description of Mary being taken for a God by the Christians, some Christian critics of the Koran conclude that the doctrine of the Trinity, according to the Koran, consists of three persons-God, Jesus and Mary. But this is an unwarranted conclusion. Mary is spoken of as being taken for an object of worship by the Christians ; but the doctrine of the Trinity is not mentioned, here, while the Divinity of Mary is not mentioned, where the Trinity is spoken of. Had Mary not been worshipped by the Christians as the 'Mother of God,' the conclusion would have been safe, that the Koran mistook Mary for the third person of the Trinity. But the doctrine and practice of Mariolatry, as it is called by Protestant controversialists, is too well known. In the catechism of the Roman Church, the following doctrines are to be found : 'That she is truly the mother of God, and the second Eve, by whose means we have received blessing and life ; that she is the mother of Pity and, very specially, our advocate ; that her images are of the utmost utility (Encyc. Brit. 11th ed. vol. 17. 813.) It is also stated that her intercessions are directly appealed to in the Litany. And further, that there were certain women in Thrace, Scythia, and Arabia who were in the habit of worshiping the Virgin as a goddess, the offer of a cake being one of the features of their worship etc.

his farewell from the Unitarian congregation in Washington, he said in his last speech to them: 'It has always been a wonder to me, why all the world is not Unitarian.' The President, of course, meant by 'all the world' all the Protestant world of the United States, because the Catholic church is under the power of the Pope, and admits of no change of creed or dogma.

"The Unitarians consider Christ as a mere man, inspired as other great men are, though in a greater degree; they reject the doctrine of original sin, the belief in miracles, and generally the whole supernatural elements of Christianity. There are many of the so-called liberals in the churches who hold Unitarian doctrines, but do not separate from their old connections. President Taft is, therefore, entirely justified in asserting that the trouble we suffer from—if it be trouble—is, that there are so many Unitarians in other churches who do not sit in the pews of our church. But that means ultimately that they are coming to us. There seems to be every prospect that President Taft's prophecy may be fulfilled in regard to the Protestant world.

"Charles Eliot, President Emeritus of Harvard University, made a similar prophecy in a pamphlet called 'The regligion of the Future' Printed by the American Unitarian Association. Mr. Eliot says: 'The religion of the future will not be based on authority, either spiritual or temporal', (namely on neither Pope nor King). 'It is hardly necessary to say that in the future religion there will be no personification of the forces of nature. There will be in the religion of the future, no identification of any human being, however majestic in character, with the Eternal Deity.'

"The ordinary consolations of constitutional Christianity no longer satisfy intelligent people whose lives are broken by the sickness or premature death of those they love...."

The lecturer quoted above goes on to say: "Jesus Christ prayed (John xvii, 3) 'And this is life eternal, that they might know Thee, the only true God, and Jesus Christ, whom Thou hast sent' (namely, Thine apostle). There are many other places to prove, that Christ did not claim to be God. But Christians cannot see it in that light, because they want three Gods instead of one...."

"Of course, there are points, at which all religions touch each other, but the Christian fails to see this. The Moslem believes in one God, and also in Christ as one of God's great prophets. The Christian says, he also believes in one God, but He has a trinity of persons. This is evidently derived from the Hindu religion, from Bram, Vishnu and Siva. The Jewish religion knew of no trinity in the Old Testament, and yet the Christian pretends, that his religion is founded on the Jewish religion. The Jewish

upon us, at the same time, the necessity of doing good. If Jesus by his unnatural death has atoned for our sins, then there should be no need for us to trouble ourselves about good or bad deeds any more. It matters little whether we do good or evil. We are quite at liberty, to revel and carouse at will. On the one hand, Christianity teaches us the doctrine of Atonement, thus making us independent of all good deeds, while on the other hand, it imposes upon us the obligation to perform good deeds.

The sixth contradictory principle that Christianity offers the world is, that it holds Christ as accursed, dying (as he is believed by Christians) an accursed death on the Cross ; yet it holds him up as the very paragon of excellence, the son of God —His dearest one. It is impossible for a Moslem, to comprehend how an accursed man can be the son of God. Curse betokens divine vengeance, a great gulf between Him and the person accursed. To reconcile these two contradictions passes the wit of a Moslem.

The seventh contradiction is that Jesus is called the son of God, as well as the son of David. How can a man possibly, be the son of two distinct personalities ? He must be either of one or of the other, but not of both at the same time.

The Godhead of Jesus Condemned by Islam

The above has been the doctrine of the Mohammadan Religion with regard to the personality of Jesus Christ. After thirteen centuries the same doctrine is now adopted by some Christian Churches, namely, the Unitarian. Probably it will not be out of place to quote here a few statements from a lecture, delivered before the Cooper Literary Institute, Philadelphia, on March 4th, 1913, by Dr. A. Geo. Naker, late President of the Institute:

"We have now arrived at a time when the literature of all nations, and their history, are being carefully studied by those who are fitted for the task. The many frauds which the Christian churches have practised in the past, are all being exposed now, and the result is that many of the wisest and best men have forsaken the orthodox doctrines of the Christian churches. We have here in the United States, a large and intelligent body of believers who are called Unitarians, i.e. believers in one God, and who object to the old doctrine of a trinity of person in the Godhead, and reject the same. They look upon Christ as a great prophet and a good man, but still only a man. Our ex-President Taft belongs to this Unitarian church. In taking

me to die. Thou hast been the Watcher over them, as Thou art the Watcher over all things. If Thou punish them, they are surely Thy servants, and if Thou forgive them, Thou art the Almighty and the All-wise."

Contradictory Teachings of Christianity From Moslems' Point of View

The following would illustrate certain contradictions in the fundamental principles of Christianity, as viewed by Moslems :

The first and the foremost Christian principle is Unity in Trinity, and Trinity in Unity. This, in itself, is but a clear illustration of the principle of compromise, of which a divine religion should be free. The Romans believed in three gods, whilst the Jews believed in one. When the Romans showed their readiness to adopt Christianity, a compromise was, it seems, at once arrived at. Apparently for the sake of the Romans, the Unity of God, as believed by the Jews, underwent a change; it was assimilated to the tri-headed Godhood, and so the two creeds became merged into one. No Moslem person can think of reconciling such contradictions.

The second instance of contradictory principles is, that Jesus has been called a man and God, at the same time; while the fact is, that the Creator and the created cannot be one and the same. Therefore, Jesus cannot be God and man, at the same time.

The third principle, where contradictions have been brought together, is that, on the one hand, Jesus declares in the Gospels, that violation of even the least commandment of the law dooms a man to eternal perdition. while it is taught by Paul, that the Law was a curse.

The fourth example of contradictory principles, is the Christian doctrine, that God cannot forgive sins, hence the necessity 'of the crucifixion of His only begotten son for the redemption of the sins of mankind', while maintaing, at the same time, that God would forgive us our trespasses, only when we forgive those that trespass, against us. A Moslem cannot understand, how God both can and cannot forgive trespasses. If He cannot forgive, then vain is our forgiving or condemning ; for that is of no avail. If He can, then a Moslem does not see that there is any need of Atonement.

The fifth contradictory principle is the teaching, that Jesus has taken away all our sins by suffering crucifixion for mankind at large, impressing

your Lord'; whoever, shall associate aught with Him, God shall forbid him paradise, and his habitation shall be hell fire ; and the ungodly shall have none to help them. They are certainly infidels who say, God is the third of three, for there is no Deity, but God alone. And if they do not desist from what they say, a painful torment shall surely be inflicted upon those who misbelieved among them. Will they not turn unto God, and ask His pardon ? since God is Gracious and Merciful. Christ, the son of Mary, is no more than apostle : Other apostles preceded him, and his mother was a true believer ; they both used to eat food (as all other creatures of God). Behold, how we declare unto them the signs (of God's unity) ; and then behold, how they turn aside (from the right path). Say, (O Mohammad, unto them) will ye worship. besides God, that which can cause you neither harm nor profit ? God heareth (every thing) and seeth (every thing). Say. O ye who have received the Scriptures, exceed not the just bounds in your religion, by speaking beside the truth, neither follow the desires of people who have heretofore erred, and who have seduced many, and have gone astray from the right path."

(b) "O ye who have received the Scriptures, exceed not the just bounds in your religion, neither say of God otherwise than the truth. Verily, Christ, the son of Mary, was the apostle, and His Word which He conveyed to Mary, and a Spirit coming from Him. Believe, therefore, in God and His apostles, and say not : 'There are three (Deities).' desist : it will be better for you. God is the only Deity. Far be it from Him, that He should have a son ; unto Him belongeth whatever is in heaven and on earth ; and God is the best Protector. Christ doth not proudly disdain to be a servant to God."

(c) "It beseemeth not a man, that God should give the Scripture and the wisdom and the gift of prophecy to him, and that then he should say to the people 'Be ye worshippers of me, as well as of God', but rather, 'Be ye perfect in things pertaining to God, since ye know the Scriptures, and have studied deeply.'"

(d) "And when God shall say (namely unto Jesus on the Day of Judgment,) O Jesus, son of Mary, hast thou said unto the people, 'Take me and my mother for two deities, beside God ?' He shall answer, 'Glory be to Thee, it is not for me, to say that which I ought not in truth ; if I had said it, Thou wouldst surely have known it : Thou knowest what is in me, but I know not what is in Thee ; for Thou art the knower of all secrets. I have not spoken to them otherwise, than Thou didst command me. I said to them : Worship God, my Lord and your Lord ; and I was a witness against them as long as I stayed amongst them ; but when Thou causest

have slain Christ Jesus, the son of Mary, the apostle of God'; yet they slew him not, and crucified him not, but he was represented to them by one in his likeness, and verily, they who disputed about him, were in doubt, concerning this matter: they had no sure knowledge thereof, but followed only an uncertain opinion [1]. They (the Jews) did not really kill him; but God took him up to Himself and God is Mighty and Wise."

Jesus and the Divinity.

(a) "He (Jesus) is no other than a servant of God whom We favoured, and set forth as an instance (of divine power) to the children of Israel; and if We pleased, verily, We could have even produced angels from yourselves, to succeed you on earth."

(b) "And when Jesus came with manifest signs, he said: 'Now I am come to you with wisdom, and to explain to you part of those things, about which you disagree; therefore fear God, and obey me. Verily, God is my Lord and your Lord; wherefore worship ye Him: this is the right path.' But the different parties fell into disputes among themselves [2], but woe to those who thus transgressed, because of the punishment of a grievous day."

(c) "The Jews say: 'Ezra is the son of God'; and the Christians say, 'Christ is the son of God.' This is their saying with their mouths, following the example of those who misbelieved before them. May God resist them. How are they infatuated! They take their priests and their monks for their Lord, besides God, and (take) Christ, the son of Mary, (for their; lord besides God,) although they are commanded to worship one Deity only; There is no Deity but He (the true God); far be those from Him whom they associate (with God.)"

The Trinity condemned.

(a) "They are surely infidels who say, 'Verily, God is Christ the son of Mary; since Christ said, O ye children of Israel, worship God, my Lord and

---

(1) For some maintained, that he was justly and really crucified; some insisted, that it was not Jesus who suffered, but another who resembled him in the face ... some said, he was taken up to heaven, and others, that his manhood only suffered, and that his godhead ascended into heaven.

(2) Either referring to the Jews in the time of Jesus who opposed his doctrine, or to the Christians since, who have fallen into various opinions concerning him; some making him to be God, others the son of God, and others one of the persons of the trinity etc.

The Mission of Jesus.

(a) "We formerly sent our apostles with evident signs and miracles, and We sent down with them the Scriptures and the balance, that men might observe justice."

"And We caused Jesus, the son of Mary, to succeed them, and We gave him the Gospel : and We put in the ears of those who followed him, compassion and mercy : but as to the monastic life, they invented it themselves : We did not prescribe it to them ; they did it out of design to please God, yet this they did not Properly observe. And We gave to such of them as believed, their reward : but many of them were evil doers."

(b) "We also caused Jesus, the son of Mary, to follow the footsteps of the Prophets, to confirm the Law which was sent down before him ; and We gave him the Gospel, containing guidance and light, and confirming the preceding word and a direction and admonition unto those who fear God : so that they who have received the Gospel might judge, according to what God hath revealed therein. And whose will not judge, according to what God hath revealed, they are certainly transgressors."

(c) "Some of the apostles We have endowed more than others. Those, to whom God hath spoken, He hath raised to the loftiest position. And to Jesus, the son of Mary, We gave manifest signs, and We strengthened him with the Holy Spirit. And if God had pleased, they who come after them, would not have wrangled, after the clear signs had reached them. But into disputes they fell : some of them believed, and some were infidels : yet, if God had pleased, they would not have wrangled : but God doth what He will."

(d) "And Jesus, the son of Mary, said : 'O children of Israel. Verily, I am God's apostle to you who came to confirm the law which was given before me, and to announce an apostle who shall come after me whose name shall be Ahmad. But when he (Ahmad) presented himself with clear signs of his mission, they said : 'This is manifest sorcery.' Jesus said to them : 'I come to attest the law which was revealed before me, and to allow you part of that which had been forbidden you ; and I come to you with a sign from your Lord : therefore, fear God and obey me ; verily, God is my Lord and your Lord ; therefore, worship Him : this is the right way."

Jesus not Crucified.

(a) "The Jews were cursed for their unbelief. and for their having spoken a grievous calumny against Mary and for their saying ; 'Verily, we

hast committed a grave thing. O sister of Aaron,[1] thy father was not a bad man, nor was thy mother unchasted. And she made a sign to him (the infant). They said : 'how shall we speak to him who is an infant in the cradel ?' He said : 'Verily, I am the servant of God : He hath given me the Book (the Gospel), and He hath appointed me a prophet. And He hath made me blessed, wheresoever I may be and hath commanded me, to pray to him and to give alms, as long as I live ; and hath made me dutiful towards my mother ; and He hath not made me cruel or wicked. The peace of God was on me the day I was born, and it will be on me the day I shall die and the day I shall be raised again to life'. This was Jesus, the son of Mary, the word of truth, concerning whom they dispute.

(b) "Verily, the case of Jesus with God is the same as that of Adam. He created him (Adam) out of the dust, and then said to him 'Be', and he was. This is the truth from thy Lord ; be not, therefore, one of those who dispute."

One of the Miracles of Jesus.

Remember when the disciples said. 'O Jesus, son of Mary, is thy Lord able to send down to us a table of provisions from heaven ?' He said :'Fear God, if ye be true believers'. They said : 'We desire to eat therefrom, and to have our hearts assured, and to know that thou hast indeed spoken truth to us, and to be witnesses thereof'. Jesus, the son of Mary, said : 'O God, our Lord, send down a table to us from heaven, that the day of its descent become a recurring festival to us, to the first of us and to the last of us, and a sign from Thee ; and do Thou provide food for us, for Thou art the best provider'. God said : 'Verily, I will cause it to descend unto you ; but whosoever among you shall disbelieve hereafter, I will surely punish him with more severe a punishment than I will punish any other of my creatures.

---

(1) Mr. Sale rightly comments this phrase, "O sister of Aaron" as follows :

Several Christian writers think, the Koran stands convicted of a manifest falsehood in this particular, but I am afraid, the Mohammadans may avoid the charge, as they do, by several answers. Some say, the virgin Mary had really a brother named Aaron, who had the same father, but a different mother ; other suppose Aaron, the brother of Moses, is here meant, but say, Mary is called his sister, either because she was of the Levitical race (as by her being related to Elizabeth, it should seem she was) or by way of comparison ; others say, that it was a different person of that name who was contemporary with her, and conspicuous for his good or bad qualities, and that they likened her to him, either by way of condemnation or reproach.

See Sale's Translation of the Koran.

decreeth a thing. He only saith 'Be,' and 'it is.' He (God) shall teach him the scripture and wisdom and the law and the Gospel ; and He shall appoint him an apostle to the children of Israel, and he shall say to them : Verily, I come unto you with a sign from your Lord, for I will make before you out of clay, as it were, the figure of a bird ; then I will breathe into it, and it shall become an animated bird, by the will of God ; and I will heal the blind and the leper, by the will of God, and I will raise the dead, by the will of God ; and I will tell you what ye eat and what ye store up in your houses. Verily, this will be a sign to you, if ye believe. And I will come to confirm the law which was revealed before me, and to allow unto you as lawful, part of what hath been forbidden you ; therefore, fear God and obey me. Verily, God is my Lord and your Lord ; therefore serve Him. This is the right way. But Jesus perceiving their unbelief, said : who of you will assist towards the way to God ? The disciples said : We are your helpers towards the way to God : we do believe in God, and do thou bear witness, we are true believers. O Lord, we believe in what Thou hast sent down, and have followed Thy apostle ; write us down, then, with those who bear wtiness (of his message.)

(2) Birth of Jesus.

(a) "And make mention in the 'Word', of Mary; when she retired from her family eastward, and drew a veil upon her to conceal herself from them; and We sent our spirit (Gabriel) to her, and he appeared to her in the form of a perfect man. She said : 'I fly for refuge from thee to the Most Merciful. If thou fearest Him'. He said : 'I am the messenger of thy Lord, that I may bestow on thee a purified son'. She said 'How shall I have a son, when man hath never touched me, and I was never unchaste ?'. He said : 'So shall it be. Thy Lord hath said, it is a simple thing with Him, and that He will make him a sign to mankind, and a mercy from Him : This is a thing already decreed'. Wherefore she conceived him ; and she retired aside with him (in her womb) to a distant place, and the throes came upon her near the trunk of a palm-tree. (She said) 'Would to God, I had died before this, and had become as one lost in oblivion.' And he who was below her (namely the newly born babe) came to her, saying, 'Be not grieved. Thy Lord hath provided for thee a rivulet at thy feet ; and do thou shake the trunk of the palm-tree towards thee : it will drop fresh ripe dates to eat. Therefore, eat and drink and cheer thyself ; and shouldst thou see any human being, say, Verily, I have vowed a fast to the Most Merciful ; wherefore I will by no means speak to a human being this day. So she came with the babe to her people. And they said to her, O Mary, thou

the divine goodness had suffered the mother and disciples of so holy a a prophet, to believe, even for one moment, that he had died in so ignominious a manner. Jesus returned the following answer. "O Barnabas, believe me, that every sin, however small, is punished by God with great torment, because God is offended by sin. My mother, therefore, and faithful disciples, having loved me with a mixture of earthly love, the Just God has been pleased, to punish this love with their present grief, that they might not be punished for it hereafter in the flames of hell. And as for me, though I have myself been blameless in the world, yet other men having called me God and the son of God; therefore God, that I might not be mocked by the devils on the Day of Judgment, has been pleased, that in this world I should be mocked by men with the death of Judas, making every body believe, that I died upon the cross. And hence it is, that this mocking is to continue till the coming of Ahmed, the messenger of God; who, coming into the world, will undeceive everyone who shall believe in the law of God, from this error [1]."

The Moslems are also taught, that after Jesus had left this earth, his disciples disputed among themselves concerning his nature, some calling him God and others the son of God. They believe, that he will come again into the world, will slay Antichrist, and will reign as a just king for many years, marry and have children and die.

The following are a variety of translated passages of the Koran bearing on the story of Jesus Christ, and the disputed nature and life of the Great Teacher of Christianity :

(1) Promised to Mary.

(a) "And when the angels said : O Mary, verily, God hath chosen thee and hath purified thee, and hath raised thee above all other women of the world : O Mary, be, therefore, devout towards thy Lord, and prostrate thyself and bow down in worship with those devotees who bow down to Him."

(b) "And when the angels said : O Mary, verily, God sendeth thee good tidings; thou shalt bear a word from Him, whose name will be Christ Jesus, the son of Mary, and who will be illustrious in this world and in the next, and one of those men who are honoured with approach to the presence of God; and he shall speak to men alike when in the cradle and when he is grown up; and he shall be one of the most righteous : she said, How, O my Lord, shall I have a son, since a man hath not touched me? The angel said : Thus God will create what He will; when He

(1) See G. Sale's Prelim. Discourse.

the leper, quickening the dead, and causing a table of food to be brought down from Heaven. He was sent by God, to confirm the law of Moses, and to preach the Gospel to the people of Israel. He proclaimed his mission by many manifest signs, being confirmed by the Holy Spirit. He foretold the advent of another apostle to succeed him, named Periclete or Ahmad. The Jews intended to crucify Jesus, but God saved him from the plot, took him up to Heaven, and stamped his likeness on a treacherous Jew who was apprehended and crucified in his stead. It is the constant doctrine of the Moslems, that it was not Jesus who underwent crucifixion, but someone else, resembling him in shape, namely, Judas, who agreed with the Jews, to betray Jesus for some pieces of silver, and led those who were sent to take him. After the crucifixion of the wicked Judas, and the taking up of Jesus into Heaven, Christ, the Apostle of God, was sent down again to the earth, to comfort his mother and devoted disciples, and to tell them, how the Jews were deceived ; and he was taken up a second time to Heaven.

"It is supported by several", writes Mr. G. Sale "that this story was an original invention of Mohammad's ; but they are certainly mistaken; for several sectaries held the same opinion, long before his time. The Basilidians, in the very beginning of Christianity, denied, that Christ himself suffered, but that Simon the Cyrenean was crucified in his place. The Cerinthians, before them, and the Carpocratians next, (to name no more of those who affirmed Jesus to have been a mere man) did believe the same thing; that it was not himself, but one of his followers very like him, that was crucified. Photius tells us, that he read a book entitled 'The Journey of The Apostles', relating the acts of Peter, John, Andrew, Thomas and Paul ; and among other things contained therein, this was one, that Christ was not crucified, but another in his stead, and that therefore, he laughed at his crucifiers, or those who thought they had crucified him [1]."

St. Barnabas relates this part of Jesus Christ's history with circumstances approximating to the Mohammadan view. "In that Gospel it is related, that the moment the Jews were going to apprehend Jesus in the garden, he was lifted up to heaven, by the ministry of four angels ; that he will not die, till the end of the world, and that it was Judas who was crucified in his stead ; God having permitted that traitor, to appear so like his master, in the eyes of the Jews, that they took and delivered him to Pilate. That this resemblance was so great, that it deceived the Virgin Mary and the disciples themselves ; but that Jesus Christ afterwards obtained leave of God, to go and comfort them. That Barnabas having then asked him, why

(1) See G. Sale's, Translation of the Koran, chap. III, p. 38 (F. Warne & Co, London).

4. Belief in the Apostles of God

The fourth article of the Mohammedan creed is faith in all the Apostles of God. A Moslem must believe, that the Merciful Creator sent in divers ages certain messengers or apostles, to reclaim mankind from infidelity and superstition, and to teach them the religion and laws of God, and to give them good tidings and admonitions. The number of these apostles is given as 313. Twenty five of them must be remembered, since their names are distinctly given in the Koran ; but it is not necessary to learn them by heart. The following are the names, according to chronological order :—

Adam, Noah, Houd (Heber), Saleh (Methuselah), Lot, Abraham, Ishmail, Isaac, Jacob, Shu'aib (Jethro), Haroun (Aaron), Moses, David, Solomon, Ayoub (Job), Zulkifl (Isaiah), Younis (Jonah), Ilias, Alyas'aa (Elisha), Zacharias, Yahia (John the Baptist), Jesus and Mohammad.

If a Moslem is asked about anyone of these men, he must confess his belief, that he was an apostle of God.

Moslems must also believe, that the apostles of God were truthful, faithful and intelligent, and that they delivered in full God's message to their respective people. A moslem must further believe, that all apostles of God were, by their prophetic characteristics, free from (1) telling lies, (2) committing unlawful deeds, (3) stupidity, laziness or cowardice, (4) concealing any part of the message they were ordered to deliver.

The apostles of God were subject to the same human wants as the rest of mankind, such as eating, drinking, sleeping, marrying, etc., They were also liable to ordinary but not disgusting maladies etc.

Since the nature, as well as the story, of Jesus Christ were matters of dispute between Christians and Mohammadans, I must give a summary of the Moslems' belief in this respect, according to the teachings of the Koran and the interpretations of the Prophet.

Moslems hold, that Jesus Christ was the blessed Apostle of God who was sent to reclaim the people of Israel. He was a spirit from God, His messenger, His servant and prophet, illustrious in this world and in the next. He was miraculously born of the Virgin Mary. The Jews having spoken ill of Mary, and charged her with unchastity, Jesus Christ, speaking in the cradle, vindicated his mother's honour. Jesus performed miracles by God's power ; giving life to a clay figure of a bird, healing the blind, curing

it has cleared other prophets, like Moses and Jesus, of similar charges For it says : "We heretofore gave a command to Adam, and he forgot it. and We found no intention in him (to disobey our command) [1]."

This is, indeed, an important principle, and it has important bearings on the doctrine of sin, as presented by the Holy Koran. For, elsewhere we read : "God will not punish you for an inconsiderate word in your oaths ; but He will punish you for that which your hearts have assented unto [2]." This verse clearly lays down, that a wrong act, or an evil thought, is a sin, if it is deliberate. Shorn of intention and deliberation, a wrong act or an impure thought is a mere accident which, however deplorable, cannot prove the doer a guilty sinner in the sight of God.

But, if the element of intention is present, even the faintest thought is enough, to render a man guilty before his Maker, not to speak of a deed which is manifestly wrong. God forbids both kinds of sin—open and secret—equally in the same verse : "Draw not near unto sin ; neither open nor secret [3]." "Leave both—the outside of iniquity and the inside thereof [4]." Again : "Say, verily, my Lord hath forbidden sins, whether open or secret, and iniquity and unjust violence [5]."

These verses sufficiently establish the doctrine of personal holiness in Islam ; but to crush the objection of the critics absolutely, we give one more verse which shows, that not only the eyes and the ears, but also the heart, will be required, to give evidence on the Day of Judgment, if any sin has been committed through them. And the verse is this : "And follow not that, whereof thou hast no knowledge ; for the hearing and the sight and the heart—each of these shall be examined [6]."

Personal holiness, it must be remembered, depends largely on a thorough belief in the Omniscience and Omnipresence of God. And nothing is more striking to the reader of the Holy Koran, than the force, with which it impresses upon us these two attributes of the Deity. The belief, that the Supreme Being sees our actions and knows even the innermost secrets of our hearts, is a most powerful check upon the tendency to commit sin. So long as a man realises, that he works and moves under the great Task-master's eyes, he keeps himself from vice ; but whenever this consciousness in him grows dim, and he thinks he is not watched by God, he exposes himself to constant danger.

---

(1) Koran, xx : 114. It is interesting to note, that the word .... ('Azma) in the verse quoted, has been taken, both by Rodwell and Sale to mean' firmness of purpose' and not 'intention.' Hence, Mr. Wherry says in his commentary : "This verse is fatal to the Moslem theory of the sinlessness of prophets."

(2) Koran, II : 225. (3) Koran, VI : 151. (4) Koran, XVI : 38.
(5) Koran VII : 34. (6) Koran XVII : 38.

The Koran and the Doctrine of Personal Holiness

Islam has taken due cognisance of the frailties of human nature, and this constitutes its chief excellence as a system of religion. Thus the laws of Islam exhibit an elasticity which is a proof of their beneficence and usefulness. Though Islam, no doubt, points to a lofty idealism, it is, at the same time, thoroughly practical. The merit of Islam, as a religion, consists in a happy harmonious blending of the ideal and the practical. It favours no form of asceticism, and never asks any man, to do what he has not the power to do. There is, however, one thing, on which it lays the greatest emphasis. It is personal holiness, and purity of heart. It is the grand purpose, for which the Prophet was sent down, as it appears from the prayer of Abraham : "Our Lord, raise up among them an apostle who may rehearse Thy signs unto them, and teach them the Book, and Wisdom, and purify them [1]." The reader will observe, that the verse gradually ascends to a climax. Purification of men being put last, as the most important part of the functions of the Prophet of Islam. "He who is purified, hath obtained felicity," says the Koran elsewhere [2]. Again, after mentioning the blessings of heavenly life, the Holy Book adds : "And this shall be the reward of him who shall be pure [3]." That a very important place is given to purity of mind and personal holiness, will be seen from another verse, where sinners are threatened with the punishment, that God shall neither speak unto them nor shall He purify them." "Moreover, they who conceal any part of the scripture which God hath sent down unto them.... God shall not speak unto them, on the day of resurrection, neither shall He purify them, and they shall suffer a grievous punishment [4]." It is clear, then, that communion with the Deity and personal holiness are the keynote of Islam.

But even here, man is not held responsible for the evil thoughts that in spite of himself, pass through his mind, like flashes of lightning. To render man responsible for such passing fancies, over which he has little control, would be sheer injustice. Commission of a wrong act, without previous intention and deliberation, does not make one guilty, far less a passing thought that rises like a bubble only to die and disappear the next moment. Adam ate of the forbidden fruit and thereby committed a mistake, as all men are liable to commit mistakes ; but he was never guilty of committing sin, and the Holy Koran clears him of the false accusation, just as

(1) Koran, chap. ii : 123.
(2) Koran, lxxxvII : 14.
(3) Koran, xx : 78.
(4) Koran, ii : 175.

Ills and troubles tried them ; and so tossed were they by trials, that the Apostle and they who shared his faith, said, 'When will the help of God come ?'—Is not the help of God nigh ? [1]." Even the Patriarch Abraham, was tried by God, when He commanded him to leave his home and country, and to offer his beloved son as a sacrifice.

No doubt, it is rather a difficult task, to secure the blessings of God, and to perform the divine laws. But, let not man stagger under the difficulty of the task that lies before him. Let him take courage, and, with a firm trust in God and a cheerful heart, undertake the performance ; and above all fear the Lord ; for it is God's promise, that "He will make His command easy to him who feareth Him". The God of Islam, it should always be remembered, is not a niggardly, exacting God, but "He is gracious unto His servants". Elsewhere, we read a surpassingly comforting verse, which comes as a message of hope to each and all of us. "God desireth, to be gracious unto you... God desireth, to make your burden light : for man hath been created weak. [2]" Again we read ; "God wisheth you ease and never wisheth you discomfort." A world of mercy and forgiveness is surely concealed behind, and breathed out by these verses. God is offering His grace ; we have only to throw ourselves in the right attitude of Faith, and give ourselves up to God, and His Hand will lead us to His blessings. We have but to confess our weakness and ask from our Lord power and strength, and His spirit will descend upon us.

There is another remarkable passage in the Holy Koran which presents to us a just, but at the same time a merciful God, and then gives a most beautiful prayer, so comforting to the helpless man who, toiling up the spiritual heights, sits down totally unnerved, looking up to God for strength and support. "God will not burden any soul beyond its power," so run the words of God, "It shall enjoy the good which it hath acquired, and shall bear the evil, for the acquirement of which it laboured. Our Lord, punish us not if we forget, or fall into sin ; Our Lord, lay not on us a burden, like that which Thou hast laid on those who have been before us ; neither make us, O Lord, to bear what we have not the strength to bear ; but blot out our sins, and forgive us, and have pity on us. Thou art our Patron ; help us, therefore, against those who do not believe [3]."

(1) Koran, ii : 210.

(2) Koran, iv : 28.

(3) Koran : last verses of Chap. ii.

The Frailties of Human Nature

The Koran also dwells on the weaknesses, to which the flesh is heir, and constantly reminds man of his inconstancy, injustice and ingratitude. "Man is created weak." "Surely man is unjust and ungrateful." "Man is hasty." "Man is covetous." "Verily, man is created extremely impatient." "Verily, man is ungrateful unto his Lord." It must, however, not be inferred from verses like these, that man stands condemned before his Creator, as deserving only death and perdition. These verses rather breathe a noble sympathy for the weakness of man and the infirmities of the flesh. They contain in them promises of God's grace and forgiveness. In reminding man of the infirmities of his nature, God desires, that he should realise his weakness and powerlessness, bow down his head before the Lord, turn to Him for strength and assistance, and pray constantly, that He may guide him into the right, straight path. Indeed, the Moslem is enjoined to throw himself in this attitude towards his Maker, and to offer such prayers repeatedly through the day and night. He is taught to say : "Praise be to God, Lord of the worlds ; the Compassionate, the Merciful, King of the day of Reckoning. Thee only do we worship, and to Thee do we cry for help. Guide Thou us in the right path, the path of those, unto whom Thou hast been gracious ;—and not of those, with whom Thou art angry, and neither of those, who go astray [1]."

As will be seen, this human prayer is full of sympathy towards the weakness of man. In it the Lord teaches His servants, to beg of Him spiritual blessings. In it He indirectly asks them not to sink in despair, and indirectly promises, to guide them into the path of holiness and to give them strength, to bear the yoke of His law. What an uplifting hope is breathed into our hearts, when He tells us, that He was gracious in the past, unto those who sought Him, and even so to-day He is ready, to be gracious unto us, if we only turn to Him and look up to His Grace, as our true Saviour.

But, as Shakespeare said : "The course of true love never did run smooth". With equal truth it may be said of divine love, that its course never runs smooth. Trials and tribulations are bound to come. Many a trial the seeker after God has to undergo, before he can expect to receive the grace of God. "Think ye", says the Lord, "to enter Paradise, when no such things have come upon you, as on those who flourished before you?

---

(1) This is the prayer, with which the Holy Book of Islam opens.

Everywhere, in the Holy Koran, man is represented as the crown and glory of creation. He is the central figure of this beautiful universe. In Adam, he is God's viceregent on earth. Out of love, God hath created man. And He hath created for him the heavens and the earth, and sendeth down water from the heaven, and so bringeth forth the fruits for his food. And to him He hath subjected the ships, so that by His command they pass through the sea; and to him He hath subjected the sun and the moon in their constant courses; and to him He hath subjected the day and the night; of everything which he may ask Him, giveth He to him; and if he would reckon up the favours of God, he can never count them.

"And the cattle. For you He created them; from them ye have warm garments, and they are useful in many ways; and of them ye eat; and they obey you well when ye fetch them home and when ye drive them forth to pasture: and they carry your burdens to lands which ye could not else reach, but with travail of soul: truly, your Lord is full of goodness, and merciful: And He hath given you horses, mules and asses, that ye may ride them, and for your pleasure: And things, of which ye have no knowledge, hath He created. Of God it is, to point out the way. Some (of you) turn aside from it; but had He pleased, He had guided you all aright [1]."

According to the Koran, God hath endowed us with the power of self-government which is an almost incredible trust. By this power, God not only trusts our destinies to ourselves, but He actually trusts, or seems to trust, the whole final outcome of His creative work to our treatment of it. This earth, at least, is put into our hands, to make what we will of it and of ourselves, its inhabitants. It is stored with all possible helps to us, in natural forces and materials; we are given intelligence, to find them out and to use them for the enrichment and beautifying of our lives; we are given the understanding of a Rule of Right in our conduct towards each other, that will keep us in perfect harmony and happiness together, for the common good; we are given a complete code of regulations, to guide us as to what is right and what is wrong; we are drawn towards well-doing, in accord with the Rule of Right, by a feeling created in us, which will not let us forget it or violate it, without wilful intent; but (and here lies the grandeur of the part, man performs in creation) we are trusted with the freedom, to do with all this what we will. The outcome, good or evil, is what we and our fellows of the human race, past and future, are helping, or have helped, or will help, to make it. The glory of triumph or the shame of failure, in the creation of mankind, is to belong to the race itself.

---

(1) Koran, xvi, 5-9.

influences, unless God Himself undertakes to nurture the little soul. When the child grows into manhood, he may use the God-gifted faculty of discrimination and may become what he chooses in life. Indeed, God gives him many a chance in life, that he may recover himself from sin and iniquity. He may make or mar his fortune, even in the spiritual sense. If in him, Faith asserts its power, if true repentance places him in the right attitude towards God, if the spirit of God impels him to do virtuous deeds, if he feels the hand of God working in the smallest concerns of his life, and, above all, if he accepts death with a smiling countenance, and loses himself to save himself, why this is sufficient atonement in the sight of the Lord, whose pre-eminent attribute is Mercy.

To understand the Koranic conception of man, a reference to the following verses is necessary : "Of goodliest fabric We created man, then brought him down to be the lowest of the low ; save who believe and do things that are right, for theirs shall be a reward that faileth not". These verses indicate that man, at the moment of his creation, is perfectly sinless. It is afterwards, that sin tries to assert itself and bring him down to the level of the brutes. But he has also the divine in him,—the power to offer, if he so wills, a stubborn resistance ; and by the help of this power, he may "grow up to a saint". Although his own force is feeble, there is the Spirit of God, which will cooperate with him in this work of self-regeneration, only if he shows genuine desire to turn to God, to believe, and to do things that are right. The Holy Koran is very clear on this point. It does not ask to believe in the doctrine of original sin ; and so atonement, in a Christian sense, has no place in the Islamic Scripture. What God wants of us, is this, that we for our part, should make the utmost endeavour to secure His pleasure and grace, while He for His part, undertakes to direct us into His ways. "And whoso maketh his utmost endeavour towards Us, We will surely direct him into Our ways," says the Koran. This utmost endeavour on our part, to reach God, involves the idea of personal atonement and sacrifice which the Moslem is required to offer. We find the same thought clearly expressed elsewhere in the Word of God : "They who set their face with resignation God-ward, and do what is right,—their reward is with their Lord ; no fear shall come on them, neither shall they be grieved." Turning his face towards God, gradually proceeding towards Him, till he realises himself in Him—herein lies the salvation of man, according to the Koran. The Moslem is taught the high truth, that "the good drives away the evil in man," and so he requires not anyone, to take the burden of his sin and to undergo punishment as his 'substitute.' He develops his faculties, and tries his very best, to make use of them in doing good deeds and working out the will of his Maker ; and hopes that his little will be accepted as much by the Most Merciful Lord.

"The simple shepherds and wandering bedouins of Arabia, are transformed, as if by a magician's wand, into the founders of empires, the builders of cities, the collectors of more libraries, than they at first destroyed, while cities like Fostat, Baghdad, Cordova and Delhi, attest the power, at which Christian Europe trembled. And thus, while the Koran, which underlies this vast energy and contains the principles which are its springs of action, reflects to a great extent the mixed character of its author, its merit as a code of laws, and as a system of religious teaching, must always be estimated by the changes which it introduced into the customs and beliefs of those who willingly or by compulsion, embraced it. In the suppression of their idolatries, in the substitution of the worship of Allah for that of the powers of nature and genii with Him, in the abolition of child murder, in the extinction of manifold superstitious usages, in the reduction of the number of wives to a fixed standard, it was to the Arabians an unquestionable blessing, and an accession, though not in the Christian sense a Revelation of Truth; and while every Christian must deplore the overthrow of so many flourishing Eastern churches by the arms of the victorious Moslems, it must not be forgotten that Europe, in the middle ages, owed much of her knowledge of dialectic philosophy, of medicine and architecture to Arabian writers, and that Moslems formed the connecting link between the West and the East for the importation of numerous articles of luxury and use."

"For if he (Mohammad) was indeed the illiterate person the Moslems represent him to have been, then it will be hard to escape their inference, that the Koran is, as they assert it to be, a standing miracle."

The Koranic Conception of Man

The Holy Koran represents man as a free and responsible being, gifted with the faculty of distinguishing between right and wrong. Then, according to the Koran, man is capable of obeying the law of God. He needs nobody to atone for his sins, but himself; for the Lord is merciful and will forgive him his sins. The Holy Book of Islam mentions no original sin which we inherit at our birth. It does not represent man as coming into the world with a load of sin on his back. On the contrary, it represents him as an unconscious Moslem at the moment of creation. The Prophet of Islam says: "Every child is born with a Moslem heart", and it is the external influences that makes it what it becomes afterwards in life. If bad influences happen to be at work, the child generally surrenders to such

So carefully, indeed, has it been preserved that there are no variations of importance — we might almost say no variations at all - to be found in the innumerable copies scattered throughout the vast bounds of the Empire of Islam.

Yet, but One Koran has been current amongst them; and the consentaneous use by all of the same Scripture, in every age to the present day, is an irrefragable proof, that we have now before us the very text prepared by command of the unfortunate Caliph (Othman who was murdered some time after the compilation of the Koran.)

There is probably in the world no other work, which has remained twelve centuries (1861), with so pure a text[1]. This is only because the various revelations in the Koran, regarding its divine nature, and its remaining for ever free from corruption or contradiction, are rightly confirmed. Here are a few verses bearing on this point ;

"We have surely sent down the Koran ; and we will certainly preserve the same from corruption." (Chap. XV)

"This Koran could not have been composed by any, except God ; but it is a confirmation of that which was revealed before it, and an explanation of the scriptures ; there is no doubt thereof ; sent down from the Lord of all creatures. Will they say, (Mohammad) hath forged it ? Answer, Bring therefore a chapter like unto it ; and call whom ye may (to your assistance,) besides God, if ye speak truth." (Chap. X)

"Say, Verily if men and genii were purposely assembled, that they might produce (a book) like this Koran, they could not produce one like unto it, although they assisted each other. And we have variously propounded unto men in this Koran, every kind of figurative argument ; but the greater part of men refuse to receive it, merely out of infidelity." (Chap. XVII.)

The Rev. Rodwell states :

"It must be acknowledged too, that the Koran deserves the highest praise for its conception of the divine nature, in reference to the attributes of Power, Knowledge and universal Providence and Unity—that its belief and trust in the One God of Heaven and Earth, is deep and fervent."

"It is due to the Koran, that the occupants, in the sixth century, of an arid peninsula, whose poverty was only equalled by their ignorance, become not only the fervent and sincere votaries of a new creed, but, like Amru and many more, its warlike propagators."

---

(1) It is more than thirteen centuries already (1941). See Sir W. Muir's Life of Mohammad.

The Koran, being the divine revelation and the corner-stone of Islam, the recital of a passage from it formed an essential part of daily prayer, public and private ; and its perusal and repetition were considered to be a great privilege. The preservation of the various chapters during the life-time of the Prophet, was not altogether dependent on their being committed to writing. The Koran was committed to memory by almost every adherent of Islam, and the extent, to which it could be recited, was one of the chief sources of distinction, in the early stages of Islam. Amongst a crowd of warrior martyrs, he who had been the most versed in the Koran, was honoured with the first burial. The person who in any company could most faithfully repeat the Koran, was ipso facto entitled to conduct the public prayers, and in certain cases to pecuniary rewards.

The retentive faculty of the early Arabs favoured the task ; and it was applied, with all the ardour of an awakened spirit, to the Koran. Several of the Prophet's followers could, during his life-time, repeat with scrupulous accuracy, the whole as then in use. Four or five such persons are named ; and several others also who could very nearly repeat the whole, before the Prophet's death [1].

"However retentive the Arab memory, remarks Sir William Muir, we should still have regarded with distrust a transcript made entirely from that source, But there is good reason for believing, that many fragmentary copies, embracing amongst them the whole Koran, or nearly the whole, were during his life-time made by the Prophet's followers.

"Such was the condition of the text during Mohammad's life-time, and such it remained for about a year after his death, imprinted upon the hearts of his people, and fragmentary transcripts increasing daily [2]."

Further the same writer states : "The contents and arrangement of the Koran speak forcibly for its authenticity. All the fragments have, with artless simplicity, been joined together......

Even the frailties of the Prophet, as noticed by the Deity, have with evident faithfulness been entered in the Koran......

In fine, we possess every internal guarantee of confidence (namely in the authenticity of the Koran, as it exists in the present copies.)

.... there is otherwise every security, internal and external, that we possess the text which Mohammad himself gave forth and used.

(1) Sir. Muir's Life of Mohammad.

(2) Sir. Muir's Life of Mohammad.

THE RELIGION OF ISLAM

by

AHMAD A. GALWASH, PH. D., LITT. D.